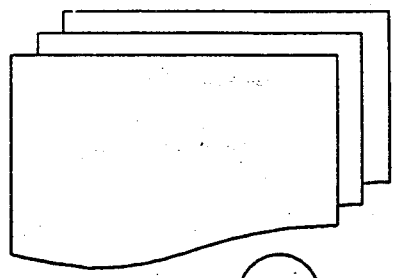

الوصف ودوره في النسيج الروائي

عند

أمين يوسف غراب

إعداد

د/ صلاح محمود مناع

أستاذ الأدب والنقد المساعد

في كلية اللغة العربية

جامعة الأزهر بأسيوط

لجنة التحكيم

أ.د/ زهـــــران محمـــــد جـــــبر عضو اللجنة العلمية الدائمة

أ.د/حمـــدان عبـــد الـــرحمن أحمـــد عضو اللجنة العلمية المحكمة

مقدمـــة

يعد " أمين يوسف غراب " أحد الأدباء الوصافين، وأحد أساطين الفن الروائي حيث ينتمي إلى جيل الستينات الذي يضم كبار القصاصين أمثال " نجيب محفوظ "،" ويوسف السباعي"، " ويوسف إدريس "،" ومحمد عبد الحليم عبد الله " وغيرهم، هؤلاء الذين أثرى بهم الأدب القصصي إثراءً كبيراً .

ولقد اهتم " أمين يوسف غراب " بالوصف باعتباره ركيزة من ركائز البناء الفني للرواية، بل هو إحدى الوسائل الفنية البارزة، في رسم الحدث القصصي، وبناء الشخصية القصصية، وتطور المكان، ومدى ارتباطه بما تشي به من علاقات .

والوصف يعد ركيزة البناء التي تحدد تضاريس المكان والشخصية والمشاعر وردود الأفعال، وقد يجمع الوصف بين ماهية المكان والزمان وملامح الشخصية .

والوصف هو من الأمور التي برع فيها " أمين يوسف غراب " من وصف المكان والشخصية والزمان وغيرها، باعتبار أن المكان هو عنصر من العناصر المهمة في الرواية، والشخصية هي العمود الفقري للرواية .

ومن هذا المنطلق وهو إحساسنا بندرة الأعمال النقدية التي نسجت خيوطها حول إبداعات هذا الأديب، وعنصر الوصف، أردنا أن نميط اللثام ونكشف عن أسرار هذا الأديب مركزين على زاوية مهمة من زوايا هذا الفن القصصي، وهي الوصف ومدى أهميته ودوره في النسيج الروائي عند " أمين يوسف غراب " حيث رصد هذا البحث الوصف بكل أنواعه .

ويحتوي البحث على المباحث الآتية :

المبحث الأول : ملامح شخصية الأديب .

المبحث الثاني : الوصف وقيمته الفنية .

المبحث الثالث : وصف المكان في روايات " أمين يوسف غراب " .

المبحث الرابع : وصف الشخصية في روايات " أمين يوسف غراب " .

المبحث الخامس : لغة الوصف .

المبحث السادس : نظرة نقدية عامة في قصص " أمين يوسف غراب " وتشمل السمات الفنية والمآخذ التي أخذت عليه .

الخاتمة، والفهرست .

والله ولي التوفيق

المبحث الأول
ملامح شخصية الأديب

مولده [1] :

ولد الأديب " محمد أمين يوسف غراب " في قرية محلة مالا، مركز دسوق بمحافظة كفر الشيخ في ٣١ مارس سنة ١٩١٢، لأب ثري، ثم انتقل إلى دمنهور، وعمل بها فيما بعد .

تعليمه [2] :

استطاع " أمين يوسف غراب " أن يقتحم الأمية ويقهرها بشجاعة فائقة فلم يدخل المدارس قط، ولم يكن يجيد كتابة اسمه حتى السابعة عشر من عمره، على الرغم من أنه نشأ في أسرة ثرية، وكان وحيداً مدللاً يأمر فيطاع، فرفض دخول المدرسة فله الأمر والطاعة، ولكن الزمن قلب له ظهر المجن فأصيب الأب بنكسة عصفت بثروته، وخسر رصيده المالي، ثم مات، وبات الابن المدلل بين مخلب وحش الفقر يفترسه ويقضي على آماله، إذن فلابد أن يواجه الحياة بنفسه مع أم لا حول لها ولا قوة .

وهنا أدرك أهمية التعليم وأوقف حياته كلها من أجل تحقيق هذا الهدف فبدأ يتعلم القراءة والكتابة، وبعد ذلك بحث عن وظيفة تخلصه من براثن الفقر، فعمل في أرشيف بلدية دمنهور، واختلف مع رئيسه فنقل إلى مكتبة دمنهور، وهنا كان على موعد مع موهبته الأدبية فقرأ كل ما يقع تحت يده من أدب عربي وأدب غربي مترجم .

وكان لقصة " الساعة تدق العاشرة " الفضل في تعلمه وقهره للأمية وثقافته، ومن خلال بطلها " محمد الشربيني "، وكأن هذه القصة تجسد السيرة الذاتية له، يقول :

" كنت لا أستطيع أن أتصور أنني في السادسة أو السابعة عشرة من عمري وأني ابن موظف كبير في الدولة، وأجهل القراءة والكتابة ولا أعرف حتى كتابة اسمي، ولذلك أردت أن

---

(١)،(٢) انظر أعلام الأدب المصري المعاصر سير وسير ذاتية لروبرت كاميل، المجلد الثاني ط / بيروت ١٩٩٦ ص ١٠١٢، مائة شخصية وشخصية لشكري القاضي ط / الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ١٩٨٧ م، ص ٦١٠

أتحلل من هذا الجهل وأن أتطهر من هذه المهانة مهما يكن الثمن .. وكانت تستهويني العناوين والأسماء .. " الزناتي خليفة "، " والزير سالم "، " أبو زيد الهلالي سلامة " .. " ناعسة الأجفان " .. قصة " سيف بن ذي يزن " .. " الشاطر حسن والسبع بنات "، كنت أشتري الكثير من هذه الكتب وكنت أتفحصها جيداً قبل أن أشتريها .. وظللت كذلك زمناً طويلاً ألتهم هذه الكتب التي كنت أظنها هي وحدها قمة الأدب والفن، إلى أن ظهر رجل رأيت صورته في الصحف، وكان وسيماً في ملابسه التقليدية الجبة والقفطان والعمامة وكانت أمنيتي أن ألقاه يوماً وأن أقبل يده، ولكن لم تتحقق هذه الأمنية .. كان اسمه " مصطفى لطفي المنفلوطي "، وكنت أقرأ له بنهم وألتهم كتبه التهاماً وأنا أقرأ " ماجدولين " أو " تحت ظلال الزيزفون "، " وبول وفرجيني"، " وغادة الكاميليا " وكل ما خطت يده من مترجمات .

تدرجت إلى القراءة الجادة، وتعرفت إلى الأدب الصرف، قرأت " شكسبير"،" وبلزاك "، " ودانتي "،" وجورج صاند "، " والفريد دي موسيه "، " وجي دي موسبان "، " وديماس الكبير "، " وديماس الصغير "، " وديستوفسكي "، " وترجنيف "، وحفظت عن ظهر قلب جان جاك روسو وطاغور وأناتول فرانس وتولستوي وغيرهم من الكتاب والفلاسفة .

وكان أحب هذه القصص التي قرأتها إلى نفسي وإلى قلبي أيضاً هي التي تتحدث عن المرأة"[1] .

الروافد التي غذته :

اعتراف أمين يوسف غراب بتعليمه في قصة (الساعة تدق العاشرة) على لسان بطلها " محمد الشربيني " الذي يجسد السيرة الذاتية للكاتب ـــ تكشف عن تنوع قراءات القاص، وتكشف أيضاً عن تكوينه الثقافي ومصادر وروافد تلك الثقافة خاصة ثقافته الأدبية حيث تأثر كاتبنا في بدء حياته بالعديد من أساطين الأدب مثل : " د . طه حسين "و" مصطفى لطفي المنفلوطي "و" عباس العقاد " وهذه تعد روافد عربية .

(١) أمين يوسف غراب، الساعة تدق العاشرة، دار الشعب ج ٢، القاهرة ١٩٨٦ م، ص ٥٢، ٥٣ .

ومن أهم روافده العالمية التي بثت ثقافته العالمية حيث تأثر بالأدباء المغربيين مثل : " ناتول فرانس "و" والفريد دي موسيه "و" جي دي موباسان "و" شكسبير " وغيرهم .

فهذا التكوين الثقافي الأدبي لاشك أنه ألقى بظلاله على أعمال " أمين يوسف غراب " القصصية .

" وللمنفلوطي " والثقافة الشعبية أثر كبير في إبداع الكاتب .

ولقد كان للحرب العالمية الثانية دورها المباشر والكبير على الأدب وذكر أحد الباحثين من هذا الدور قائلاً :

" مع الحرب العالمية الثانية خفت صوت الأدب بعامه وعزلت مصر عن العالم ... وما أن وضعت الحرب أوزارها حتى تفجر كل شيء في مجال السياسة وفي دنيا الأدب أيضاً، وفي هذه الأيام لمعت أقلام جديدة " كنجيب محفوظ "و" إحسان عبد القدوس "و" محمود البدوي "و" أمين يوسف غراب "و" محمد عبد الحليم عبد الله " [1].

ومن الروافد التي غذت ثقافة أمين يوسف غراب الاطلاع على كل ما تقع عينه عليه خاصة أثناء عمله في المكتبة بدمنهور، وهذا ما رآه أحد الباحثين " حياته العملية كانت عاملاً حيوياً للغاية في نشأته الأدبية، فقد بدأ حياته العملية موظفاً في " أرشيف " بلدية دمنهور عندما اختلف مع رئيسه وتم نقله للعمل بمكتبة بلدية دمنهور وهناك كان على موعد مع موهبته، فإذا به وقد أقبل على المكتبة في نهم شديد يطالع ويقرأ في مختلف العلوم الإنسانية حتى اكتشف بذرة الفنان بداخله ولم يكتف بقراءة (ألف ليلة وليلة)، (والزناتي خليفة)، (وأبو زيد الهلالي) وغيرها من الكتب المحببة للنفس وقتئذ، إنما أقبل بشكل خاص على مؤلفات " طه حسين " ومترجمات " ناتول فرانس "، " والفريد دي موسيه "، " وجي دي موباسان " ... وكان طبيعياً أن تعرف موهبته طريقها إلى النور، ولذا حرص على متابعة مسابقات القصة القصيرة وكانت أول مسابقة يشارك فيها عام

(١) القصة القصيرة في دراسة ومختارات د / الطاهر أحمد مكي، دار المعارف ط ٤، ص ٩٦ ــ ٩٧، ومحمود دياب، نظرة نقدية في فن الرواية، ٢٠٠٧، ص ١١ .

١٩٤٠ م هي مسابقة مجلة " الصباح " وحصل فيها أمين غراب على الجائزة الأولى عن قصة له بعنوان : " بائعة اللبن "[١].

ومن الروافد التي غذت الفن القصصي عند " أمين يوسف غراب " الريف أو القرية " حيث أسهم الريف إسهاماً فعالاً في تشكيل شخصية الكاتب إذ كان يعشق حياة الريف حيث عاش "أمين يوسف غراب" القسم الأعظم من حياته في الريف وعن تلك النشأة يشير هو بنفسه في افتتاحية " ستة أشهر حب " من مجموعة " نساء الآخرين " الصادرة عام ١٩٦٢ : " تربطني بالزميل الأستاذ " محمود البدوي القصاص " المعروف صلة صداقة متينة من زمن بعيد، يرجع إلى عهد الصبا وأحلام الشباب، وبالرغم من أننا لسنا من بلدة واحدة، فهو أسيوطي من أغوار الصعيد، وأنا دمنهوري من أغوار الوجه البحري، وتختلف مشاربنا في أشياء كثيرة، وإلا فإننا أنفقنا معاً أجمل أيام العمر وأهم ساعات الحياة، وكنا نقطن معاً في سكن واحد في القاهرة، ولكننا لم نكن نستقر في بيت واحد أكثر من شهور، فقد انتقلنا إلى عدة بيوت في أنحاء القاهرة تزيد على العشرة"[٢] .

وبذلك يكون أمين يوسف غراب قد تشبع بحياة الريف وعاداته وتقاليده، ولذا أسهمت تلك المعيشة إسهاماً فعالاً في قصص أمين يوسف غراب حيث إن معظم شخصيات قصصه أتت من أعماق الريف، من أمثال : " الشيخ إمام البلتاجي"، " زينب الشوباشي "، في رواية (الأبواب المغلقة)، ووالدة ووالد سميحة زوجة المخامي في ست أبيات، وكذلك المرأة التي التقطت زينات من قارعة الطريق، وكذلك زوجها في (الأبواب المغلقة)، وأيضاً بعض الشخصيات القصصية مثل قصة (رمان الجنايين)، " والشيخ غزال "، ومائة دجاجة وديك أحمد، زوجة رجل آخر ... وغيرها .

---

(١) مائة شخصية مصرية وشخصية للأستاذ شكري القاضي، ط / الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة، ١٩٨٧ ص ٦٢ .

(٢) أمين يوسف غراب " نساء الآخرين " ـــ روز اليوسف ـــ الكتاب الذهبي، عدد فبراير، القاهرة ١٩٦٢، ص ١٣٨ .

وبسبب النشأة الريفية برع في تصوير الحياة الريفية لأن " القرية على بساطتها لا تُعطى إلا من طالت عشرته بها، وإن بدا هذا الريف بسيطاً جداً سهلاً جداً، لكن القرية في عطائها للفنان تفضل أبناءها أولاً، فلكي تعرف سرها وتكتب عنها، لابد أن تكون من صميم أبنائها الذين لا يخافون على أحذيتهم من التراب " (١) .

ومن الروافد التي غذت قصصه وأثرت في شخصيته وثقافته معيشته في القاهرة، انتقل إلى مدينة القاهرة عام ١٩٤٩ م، وكان عمره سبعة وثلاثين عاماً، حاملاً تجاربه الريفية .

والقاهرة مدينة كبيرة استفاد منها " أمين يوسف غراب " وتعد من أهم الروافد التي غذت قصصه حيث أتاحت له الالتقاء بالأدباء والصحافة، وأتاحت له أيضاً الاختلاط بالوسط الفني في المسرح والسينما، " فشق طريقه في الساحة الأدبية، وتناولت السينما بعض القصص وحولتها إلى فيلم سينمائي، وفي مقدمتها (شباب امرأة) التي مثلها " شكري سرحان " أمام " تحية كاريوكا "، وكذلك رواية الأبواب المغلقة، أما رواية (ست البنات) فتحولت إلى مسرحية " (٢) .

والتقى فيها بعميد الأدب العربي الدكتور " طه حسين "، الذي أعجب بقصصه وكتب عنه مقالاً في الأهرام سنة ١٩٥٢ .

وانطلقت الصحف تنشر كل ما يكتبه قلم " أمين يوسف غراب " .

وهكذا أتاحت له الحياة في الريف الكثير وكذلك حياة القاهرة فيها اقترب من الصحافة، واستفاد منها بصورة كبيرة، هذه هي أهم الروافد التي غذت قصص " أمين يوسف غراب " وأثرت تأثيراً مباشراً في إبداعاته القصصية .

مذهبه الأدبي :

حفل إبداع هذا الكاتب منذ أعماله الأولى بالاهتمام بالمذهب الرومانسي حيث اهتم بالعاطفة ورفعها إلى مصاف العقل، ولذا أدرجه الدكتور " السعيد الورقي " في كتابه " اتجاهات القصة القصيرة في الأدب العربي المعاصر في مصر " ضمن الاتجاه الرومانسي مع "محمد عبد الحليم عبد الله " و" توفيق الحكيم " و" ثروت أباظة " وغيرهم فيقول عنه :

---

(١) مع مشاهير الفكر والأدب، مأمون غريب، دار المعارف ١٩٨٤ م ص ١٣٦ .

(٢) مائة شخصية وشخصية، ص ١٢ .

" يصدر في قصصه عن تمثل لعدد من المشاعر الرومانسية التي شكلت رؤيته للواقع الاجتماعي، ومن هنا كان إسرافه في التعبير الوجداني الذاتي المشبوب، وفي النظر إلى المشكلة الاجتماعية من خلال تأثر واضح بما يطرحه الرومانسيون من أفكار تتعلق بالفرد والمجتمع، وقد ظهر هذا بوضوح كاف في موقف " أمين يوسف غراب " من قضية القدر وارتباطه بالصدفة، يقف " أمين يوسف غراب " مثل سائر الرومانسيين موقف الرافض المتمرد فيصفه بالظالم المتعنت " [1] .

ويرى أحد الباحثين أن " أمين يوسف غراب " لم يكن مذهبه الرومانسية بل كان مذهبه واقعياً " .

فقال : " طرق " أمين يوسف غراب " في (هتاف الجماهير) صوراً من مفارقات الحياة الغريبة المتناولة، ففي قصة يصور موت متشرد اشتهت نفسه قطعة من الطعمية ولم يتناولها، في قصة أخرى يصور ثراء يفرق بين صديقين، وفي قصة ثالثة يصور فتاة تهرب من حياة القصور إلى صاحبها البدوي ... فالكاتب يصل القصة بتحليل إنساني يصور عيوب المجتمع ونظام الطبقات، كما تتضح من قصص الكاتب الأخرى مثل : (أرض الخطايا) و (يوم الثلاثاء) " [2] .

وأنا مع الناقد " محمود حامد شوكت " الذي صنف " أمين يوسف غراب " في المذهب الواقعي لأن " أمين يوسف غراب " برز عنده الاهتمام الاجتماعي في زحمة العواطف، والحب في نماذجه ذو وميض رومانسي وهو يميل إلى الواقعية .

وبدأ الكاتب في المزاوجة بين القرية والمدينة، وطغت ذاتية الكاتب على إنتاجه القصصي، والريف المصري له دور مميز في أدبه لأنه يجعل القرية هي توقه وشوقه، ولم نذهب بعيداً وبين أيدينا مجمل أعمال الكاتب، فالكاتب هنا يعتمد في تجربته القصصية على رصد مفردات الواقع المحيط به، والواقع الذي عاش تفاصيله سواء كان في القرية أو المدينة .

---

(١) السعيد الورقي، اتجاهات القصة القصيرة في الأدب العربي المعاصر في مصر، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٤ م، ص ١١٣ .

(٢) محمود حامد شوكت، الفن القصصي في الأدب العربي المصري الحديث ١٨٠٠ ــ ١٩٥٦، دار الفكر العربي، القاهرة، ص ٢٩٢ .

فالشخصية في معظم أعماله غير محيرة في رؤيتها، فرؤية " أمين يوسف غراب " في قصة (الدهليز) من مجموعة أشياء لا تشترى وهو " إمام البلتاجي " في (شباب امرأة) وهو الصبي الصغير الذي يروي آثار على الشفاة وهو " محمد الشربيني " في (الساعة تدق العاشرة) ... فهنا تشابك وتداخل معظم الشخوص والأحداث في قصصه القصيرة والروايات، فنجد رواياته الطويلة في الأصل تنبعث من قصصه القصيرة .

وكذلك في (الأبواب المغلقة) نجد نفس الأحداث في الراقصة العالمية إحدى مجموعته نساء في حياتي مع اختلاف الشخوص .

ومما لا شك فيه أن الكاتب عبر عن الحقيقة الإنسانية في جميع روافدها ونجح في تحقيق شعور القراء وإحساساتهم لأن " الكاتب هو المرآة الصادقة التي تعكس مشاعر المجتمع وأحاسيسه وتعبر عن مشكلاته وتسجل أفراح الناس وترصد آمالهم وآلامهم " [1] .

ومن أهم مقاييس نجاح الكاتب " أن يكون الأديب ملصقاً بالمجتمع، وأن يكون البطل لديه ابن بيئته ومن شعبه، ملتصقاً بالواقع " [2] .

فالكاتب له دور قيادي ومؤثر وفعال في العالم العربي، وله اهتماماته الشديدة بقضايا المجتمع والواقع لأنه قبل كل شيء مواطن لا يستطيع أن ينفصم عن مجتمعه .

وروايات " أمين يوسف غراب" سيطرت عليها النزعة الإنسانية وهي ظاهرة العلاقة بين الرجل والمرأة فلا يوجد قصة أو رواية من إبداعاته إلا والبطل فيها رجل تشاركه امرأة، أو امرأة يشاركها رجل، فمثلاً المرأة الجميلة اللعوب تطارد شاباً مثل رواية (شباب امرأة) " شفعات " تطارد " إمام البلتاجي "، و " أنوار" مع " محمد الشربيني " في (الساعة تدق العاشرة)، والرجل العجوز مع " صفية " في (أرض الخطايا) وكذلك " رضوان " مع الفتاة " مبروكة " في (آثار على الشفاه)، والزوج اللعوب زير النساء مع ست البنات " سميحة " .

وفي أغلب رواياته وقصصه كان الشخص المقهور هو الشاب الفقير، القروي، وهي أقرب إلى شخصية المؤلف الحقيقية .

---

(١) محمود دياب، نظرة نقدية في فن الرواية، ص ٣٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٦ .

تلك العلاقة التي اهتم بها هي العلاقة بين الرجل والمرأة وهي من العلاقات الإنسانية ولذلك " لا يخلو عمل أدبي من علاقات إنسانية لأن الإنسان يميل إلى إتمام علاقات مع غيره من أفراد مجتمعه الذي يعيش فيه فتارة تأخذ العلاقة مظهراً إيجابياً، وتارة تأخذ مظهراً سلبياً " (١) وبالتالي فمذهبه الأدبي واقعي أكثر منه رومانسي .

مكانته الأدبية :

" أمين يوسف غراب " أحد كتاب الفن القصصي اللامعين وهو واحد من ذلك الجيل الأدبي الذي عاش معاصراً لعدة أجيال أدبية من أعلام هذا الجيل "طه حسين"،" توفيق الحكيم "، " محمود تيمور"، " محمد عبد الحليم عبد الله "، وكذلك " نجيب محفوظ "، " وعبد الرحمن الشرقاوي" .

يقول عنه الدكتور " طه حسين " :

" والأستاذ " أمين يوسف غراب " قاص مقصر إلى الآن، لم يحاول أن يطيل القصص فيما أعلم، وأكبر الظن أن الوقت لم يتح له كما لم يتح له فراغ البال، وإنه إنما يكتب هذا القصص القصير مستجيباً لفنه من ناحية، ولضرورات الإنتاج السريع المنتظم من ناحية أخرى " (٢) .

وقد أعجب به الدكتور/ " طه حسين " ومدحه في نفس المقالة قائلاً :

" كاتب يعرف لغته حق المعرفة، ويحسن التصرف فيها، غير متكلف ولا متصنع، لا يخرج عن ذلك إلا حين يضطره الفن إلى هذا الخروج حين يروي نكته عامية، أو يدير الحوار بين رجلين وامرأتين أو رجل وامرأة من أهل الريف، فأما حين يعرب عن نفسه، فهو يؤدي ما يريد في لغة نقية وأسلوب صفو، ولفظ يتخيره فيحسن تخيره، وهو يرتفع في كثير من الأحيان إلى ألوان من التشبيه الرقيق الدقيق الذي يبعد في غرابته حتى يفاجئ القارئ فجاءة حلوة، ويقع في نفسه أحسن الموقع ويترك فيها أحسن الآثار " (٣) .

---

(١) محمود دياب، نظرة نقدية في فن الرواية، ص ٥٥ .

(٢) أمين يوسف غراب، آثار الشفاة، مطابع الدار القديمة، الكتاب الثاني، القاهرة ١٩٥٣، ص ٦ .

(٣) أمين يوسف غراب، آثار الشفاة، مطابع الدار القديمة، الكتاب الثاني، القاهرة ١٩٥٣، ص٥ .

فهو كاتب موهوب له مكانة كبيرة في دنيا الأدب .

ولذا كان طبيعياً وهو الأديب الموهوب أن يحصل على عضوية لجنة القصة بالمجلس العلى للفنون والآداب إضافة إلى عضوية جمعية الأدباء ونادى القلم الأولى .. والجدير بالذكر أن " أمين يوسف غراب " كان من أبرز كتاب جريدة (الجمهورية) .. وكان آخر أعماله على صفحاتها قصة بعنوان : (الساعة تدق العاشرة) .. [1] .

بالإضافة إلى ذلك " عيّن عضواً في كل من لجنة القصة بالمجلس الأعلى للفنون والآداب، ومجلس إدارة نادي القصة، وجمعية الأدباء، فاز بالجائزة التشجيعية في القصة ١٩٦٤، وسافر إلى جميع الدول العربية "[2] .

وكان " أمين يوسف غراب " قاهر الأمية في حياته نموذجاً يقتدى به في خدمة الأدب حيث شارك في نادي القصة ونادي الأدباء وكان من الأعضاء المؤثرين فيه .

وأيضاً عين موظفاً في مدينة دمنهور ثم مساعداً لأمين مكتبة بدمنهور، ثم سكرتيراً صحفياً لوزير المواصلات ثم سكرتيراً لمكتب وزير المواصلات، ثم مديراً للاتصال والإعلام بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب " [3] .

نتاجه الأدبي [4] :

هذه بيبلوجرافيا لأعمال الكاتب الكبير " أمين يوسف غراب " :

أولاً : القصة القصيرة :

١ ــ الضباب مطبعة الأهرام ١٩٣٧ م .

٢ ــ المستضعفون في الأرض، القاهرة لجنة النشر للجامعيين ١٩٤٥ ط ٢ بيروت، دار مجلة الأديب ١٩٤٨ م .

---

(١) مائة شخصية أدبية وشخصية ص ٦٢ .

(٢) أعلام الأدب المصري المعاصر سير وسير ذاتية لروبرت كاميل، المجلد الثاني ط / بيروت ١٩٩٦، ص ١٠١٢ .

(٣) أعلام الأدب المصري المعاصر سير وسير ذاتية لروبرت كاميل، المجلد الثاني ط / بيروت ١٩٩٦، ص ١٠١٢ .

(٤) ينظر نتاجه الأدبي في أعلام الأدب ص ١٠١٢، ١٠١٣ .

٣ ــ هتاف الجماهير، مكتبة مصر ١٩٤٥ .

٤ ــ أرض الخطايا : سلسلة كتب للجميع (٧٣) شركة التوزيع المصرية ١٩٥٣ .

٥ ــ نساء في حياتي، دار جريدة المصري ١٩٥٠ .

٦ ــ يوم الثلاثاء، نادي القصة، سلسلة الكتاب الذهبي (٥) روز اليوسف ١٩٥٢ .

٧ ــ آثار على الشفاه نادي القصة، سلسلة الكتاب الذهبي (١٦) روز اليوسف ٥٣ مع مقدمة لطه حسين .

٨ ــ ساحر النساء نادي القصة، سلسلة الكتاب الذهبي، روز اليوسف ١٩٥٤ .

٩ ــ امرأة العزيز، نادي القصة سلسلة الكتاب الذهبي (٣٤) روز اليوسف ١٩٥٥ .

١٠ ــ قلب في لبنان نادي القصة، سلسلة الكتاب الذهبي، روز اليوسف ١٩٥٦ .

١١ ــ غلطة العمر، بيروت، مكتبة البيان ١٩٥٦ .

١٢ ــ هذا النوع من النساء، سلسلة الكتاب الفضي، الدار القومية ١٩٥٩ .

١٣ ــ نساء الآخرين، مؤسسة روز اليوسف ١٩٦٢ .

١٤ ــ أشياء لا تشترى، سلسلة الكتاب الذهبي ١٩٦٣ .

١٥ ــ امرأة غير مفهومة، سلسلة الكتاب الذهبي، روز اليوسف سنة ١٩٦٤ .

١٦ ــ نساء في ليل سلسلة كتب للجميع ١٩٦٧ .

١٧ ــ يحدث في الليل فقط، سلسلة كتاب اليوم ١٩٧٠ .

١٨ ــ الساعة تدق العاشرة، دار الشعب ١٩٧٠ .

١٩ ــ قليل من العار، مؤسسة أخبار اليوم، ١٩٧٤ .

٢٠ ــ زوجة رجل آخر، دار الهلال، ١٩٧٤ .

ثانياً : الروايات :

١ ــ ست البنات المكتب التجاري ١٩٥٤ .

٢ ــ شباب امرأة المكتب التجاري ١٩٥٨ .

٣ ــ سنوات الحب، الشركة العربية للطباعة والنشر ١٩٦٢ .

٤ ــ الأبواب المغلقة، دار الشعب، ١٩٦٣ .

ثالثاً : المسرحيات :

١ ــ شقة في الجيزة، الدار القومية ١٩٦٦ .

٢ ــ تم لا شيء، الدار القومية ١٩٦٦ .

٣ ــ الحريق، دار الشعب ١٩٦٨ .

٤ ــ المعذبون في الحب، الدار القومية ١٩٦٩ .

ويحسب للأديب المصري المتميز " أمين يوسف غراب " ترجمة بعض قصصه إلى عدة لغات أجنبية منها الإنجليزية والفرنسية والألمانية وسجل اسمه في دليل المشهورين بأمريكا باعتباره أحد الكتاب المشهورين في العالم العربي [١] .

هذه بيلوجرافيا تقريبية لأعمال " أمين يوسف غراب " المنشورة .

رحيله :

توفى " أمين يوسف غراب " في ٢٨ / ١٢ / ١٩٧٠ [٢] ومنذ هذا الوقت صمت تغريد البلبل عن الشدو .

وهكذا رحل الكاتب بعد رحلة بلغت ثمانية من الأعوام بعد الخمسين عاشها طوافاً بين القرى والمدن .

رحل هذا الأديب والصحفي المشهور بعد أن أمتعنا بالعديد من المؤلفات القصصية والروائية، كما أسهم في تحرير العديد من الصحف المصرية، وكتب في بعض الصحف العربية .

إنه الكاتب العظيم " أمين يوسف غراب " .

---

(١) مائة شخصية أدبية وشخصية ص ٦٢ .

(٢) أعلام الأدب سير ذاتية وسير ص ١٠١٢ .

المبحث الثاني

الوصـــــف

يعد الوصف ركيزة من ركائز البناء الفني للرواية، بل هو إحدى الوسائل الفنية البارزة في رسم الحدث القصصي، وبناء الشخصية القصصية، وتصوير المكان ومدى ارتباطه بما نشي به من علاقات .

" ويعتمد الوصف على خصوبة خيال الكاتب الأمر الذي يمكنه من تقديم معطيات الموصوف وخصائصه، أحياناً يغلب الوصف على البناء الفني للعمل القصصي فيشمل " الوصف الخارجي للإنسان والمكان "، وقد يتحول الوصف إلى رصد مادي جمالي، أو إلى رصد شعوري، أو إلى رصد يجمع المكان والزمان والإنسان، وقد يتدخل الوصف الزماني والمكاني والشخصي ليرسم لوحة فنية جميلة [1] .

والوصف من أهم الأساليب التي اتبعها الكتاب في المكان والزمان والشخصية لنشوء الحديث .

ماهية الوصف :

بالرغم من صعوبة إدراك تعريف الوصف عرفه " قدامة بن جعفر " في كتابه نقد الشعر بقوله : " الوصف إنما هو ذكر الشيء كما فيه من الأحوال والهيئات ولما كان أكثر وصف الشعراء إنما يقع على الأشياء المركبة من ضروب المعاني كان أحسنهم من أتى في شعره بأكثر المعاني التي الموصوف مركب منها ثم بأظهرها فيه وأولاها حتى يحكيه بشعره ويمثله بنعته " [2] .

ويذكر أحد الباحثين تعريفه للوصف قائلاً :

---

(١) د / محمود دياب، نظرة نقدية في فن الرواية المصرية ط ٢٠٠٧ ص ١٧٣ .

(٢) قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص ٧٠ .

" يعد الوصف من الوسائل الرئيسة للسرد، يوظفه المؤلف لتشكيل الخطاب السردي، ويسهم بدور كبير وفعّال في تهيئة المناخ المناسب لكي تقوم العناصر الفنية بوظائفها، مثل الحدث الذي يستمد وجوده من سلسلة العرب المترابطة في البنية السردية، هذا فضلاً عن الشخصية الفنية، فكل ما تقوم به من فعل هو " حدث " أو واقعة تشكل جزئية مهمة من الحدث يصدر عنها خطاب هو سرد، أو صيغة تنطوي على وصف مجرد توطئة لبروز الحدث على مستوى الخطاب [1] .

والنقد القديم نظر إلى الوصف بصفته حلية أسلوبية أو استراحة فنية يقف عندها القاص ولكن الهدف منه هو " زرع الديكور وتحديد إطار الحدث وإبراز المظهر الفيزيقي للشخصيات، بقصد مماثل الواقعي، لأن ذلك يضمن أصالة الأحداث والأقوال والحركات [2] .

وربط الوصف بتناول الأشياء في أحوالها وهيئاتها، وتقديمها في صور دقيقة ونقل الشكل الخارجي لها، كما ارتبط وصف الأشياء بالمحاكاة ارتباطاً وثيقاً .

قيمة الوصف ودوره :

الوصف هو ركيزة البناء التي تحدد تضاريس المكان والشخصية والمشاعر وردود الأفعال .

وقد يجمع الوصف بين ماهية المكان والزمان وملامح الشخصية " وقد يتحول الوصف إلى وصف مادي لحرفية شخصية ما إلى صراع تشويقي إذ يخيل إلينا وهو يصف المكان أن الحدث سبب فيه، ولكن ذلك لم يحدث بل هو توطئة لتفرغ حيز الحدث " [3] .

ولقد نظر النقاد السابقون إلى الوصف على أنه وظيفة زخرفية شكلية ظاهرة .

" ويؤكد بوالوا هذه النظرية فقد أشار إلى هذه الوظيفة عندما أقر تناوله للقصيدة القصصية :

---

(١) عبد الله إبراهيم ــ البناء الفني في رواية الحرب في العراق، دار الشئون الثقافية، بغداد ط / ١٩٨٨، ص ٨٨ .

(٢) سعيد يقطين ــ تحليل الخطاب الروائي ــ المركز الثقافي العربي، لبنان ط / ١٩٨٩ ص ٦٧ .

(٣) د / محمود دياب، نظرة نقدية في فن الرواية ص ١٧٣ .

كونوا سريعين عجلين في سردكم
وكونوا أسخياء مسرفين في وصفكم

إنه ينظر إلى الوصف على أنه اللوحات والتماثيل التي تزين المباني الكلاسيكية [1] .

ولاشك أن النظر إلى الوصف على أنه زخارف يقلل من وظيفته الفنية ويرده منها ويخل بقيمه وظيفته حيث " إن الوصف قد يحمل معاني ودلالات أبعد من مجرد تمثيل الأشياء إن الوصف في الشعر العربي كان يتجاوز مجرد تمثيل الموجودات إلى مستوى أعمق من الرمزية وتمثيل القيم المجردة، فالمعروف للصورة الشعرية دلالات ومعاني ولها من خلال المحسوس تمثيل وتجسيد اللامحسوس " [2] .

ولقد أبدع العديد من المكفوفين في مجالات الأدب والفن والموسيقى، وتفوقوا على المبصرين، وترجع قيمة الوصف كوسيلة فنية مهمة في رسم الشخوص القصصية، ووصف المكان ومدى ارتباطه بالحدث وكذلك الزمان .

" ورأي الدكتور " طه حسين " في فن الوصف عند أبي العلاء المعري أنه لا يتقن من الوصف ما يحتاج إلى الإبصار، وإنما يتقن وصف ما يحيط به من غير المبصرات، فإن تناول الأشياء المبصرة ووصفها وفصل أجزائها وحدودها فليس يخلو من إحدى اثنتين :

إما أن يكون ميالاً على غيره من الوصافين المبصرين فيأخذ عنهم ما قالوا، ويتضح فيه من نظمه، روحاً خاصاً ليس هو في هذه الحالة واصفاً ولا شاعراً، وإنما هو نظام، وإما أن يملكه الفرد ويأخذه العجب فيتناول الأشياء المبصرة بالوصف والتفصيل من غير أن يهتم بغيره، أو يترسم خطو شاعر آخر، وهو في هذه الحالة وقع في خطأ شائع وسخف كثير .

(١) د . سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية، الهيئة العامة للكتاب ج ١٩ ص ٨١ .

(٢) سيزا أحمد قاسم ص ٨٢ .

وترجع قيمة الوصف كوسيلة فنية مهمة في رسم الشخوص القصصية إلى قول " كلود سيمون " : إنني أكتب كما يقوم المصور بعمل لوحة وكل لوحة هي أولاً عبارة عن تكوين، كما يرى أن مجالات الرواية تتحدد في أربعة محاور هي : " الوصف ــ والزمن ــ والجو ــ والألوان " وهذا ما يفسره قوله واهتمامه بتكوين عناصرها مما جعل البناء اللوني والتشكيلي يعوض عدم وجود السرد النمطي، كما أنه يعطي الرواية طابعاً تشكيلياً مميزاً، حيث إن لوناً معيناً في مكان معين يوازي أو يكمل لوناً آخر في مكان آخر، لكن المهم في النهاية هو تنسيق مختلف العناصر بغرض إتمام بناء متكامل بدءاً من الجملة حتى الرواية بأسرها " [1] .

يرى الأديب الكبير " توفيق الحكيم " أن الوصف هو البراعة في التصوير، ومن ثم هناك علاقة قوية بين التصوير والكتابة، وأن أي لوحة هي قصة ممثلة تقوم الألوان فيها مقام الحوار، ويؤكد ذلك قوله :

" وغني عن البيان أن طريقة إبراز الحياة بالريشة ذلك لقربه من طريق إبرازها بالقلم، وأن أساس العمل فيه واحد تشمل الإحساس والملاحظة ثم التعبير بالرسم والتلوين، بل إن الروح أحياناً تتشابه طالما وقعت عيناي على صفحات ناشر أو شاعر، وأنا كالمأخوذ أفحص السطور، بيدي لأتبين إن كانت من مداد أو أثير ... إن الشعر والرقص والموسيقى ليتناثر أريجهم مجتمعة في جو مثل هذا الفن العظيم " [2] .

ولكن دارت خلافات وحوارات بين الكتاب على أيهما تعتمد الواقعية وأيهما يلجأ إليه الوصف التعبيري .

" أما " بلزاك " فقد كان من أنصار الاستقصاء ولم يترك تفصيلاً من تفاصيل المشهد إلا ذكره، ويرى " سنترال " أن الوصف القائم على التفصيل خيال القارئ فكان يفصل الخطوط

---

(١) مجلة الفيصل العدد (٣)، ١١ يناير ١٩٨٧ ص ٨٩، نظرة نقدية في الرواية المصرية، ص ١٧٦ .

(٢) مجلة الشموع، العدد السابع ١٩٨٧، ص ٨٩، نظرة نقدية في فن الرواية المصرية، لمحمود دياب ص ١٧٧٠

العريضة، وكان " تولستوي " يرفض الاستقصاء، وظلت القضية مطروحة حتى اليوم فبعض كتاب الرواية الجديدة يقتفون أثر " تولستوي " أو " سنترال "، أو " فلوبير " الذي يجمع بين الاتجاهين إذ نجد عنده بعض المقاطع التي تقوم على الاستقصاء والوقوف عند كل التفاصيل الدقيقة، وفي البعض الآخر عند عنصر أو عنصرين موحيين " [1] .

والحقيقة أنا أرجح رأي " فلوبير " لأن هناك من المواقف ما يستدعي التفصيل والاستقصاء، وهناك من المواقف ما يحتاج إلى التلميح بعنصر أو عنصرين .

ومن خلال ذلك تستطيع أن تقول إن الروائيين سلكوا طريقين في الوصف لكي يؤدي وظيفته في الرواية " فيلجأ الكاتب إلى الوصف الموضوعي الذي يوضح فيه عناصر مختلفة مكونة له، أو يصور من منظور خاص، وقد اختار الواقعيون الأسلوب الأول، وقد أطلق على هذا النوع من الوصف التصنيفي الذي يلجأ إلى الاستقصاء، والوصف التعبيري الذي يوحي ويلمح " [2] .

ويختلف الوصف عند الكاتب الرومانسي عنه عن الكاتب الواقعي .

فالوصف عند الواقعي يعتمد على الاستقصاء والتفاصيل بمعنى " أن الروائي الواقعي لا يعرض علينا صورة حرفية فوتوغرافية ساذجة ولكنه سيذهب إلى عرض صور أكثر حقيقة وحيوية وكمالاً من الحقيقة نفسها كما يقول القاضي الفرنسي الشهير " جي دي موباستان " [3]، أما الروائي الرومانسي يستشرف قيماً روحية " [2] .

إذن الوصف في الرواية الواقعية له وظيفة مهمة وصلت إلى القمة على أيدي وصافين بارعين منهم " بلزاك "و" مكوبير "، وجعلوا للوصف وظيفة تفسيرية تفصل المقاطع تفصلاً دقيقاً

---

(١) د . سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية، ص ٨٨ .

(٢) محمود دياب، مجلة الحرس الوطني، السنة العاشرة، العدد الخامس، أكتوبر ١٩٨٩ ص ١٠٧، نقد الرواية المصرية، ص ١٧٨ .

(٣)(٢) محمود دياب،مجلة الحرس الوطني السنة العاشرة العدد الخامس والثمانون، أكتوبر سنة ١٩٨٣، ص ١٠٧، انظر نقدية في الرواية، ص ١٠٧ ــ ١٠٨ .

(٣) محمود دياب، نظرة نقدية في فن الرواية المصرية، ص ١٧٩ .

حسب مقتضيات الموقف .

والوصف له دور كبير في تجسيد الحدث حيث " يلعب الوصف دوراً رئيساً في تجسيد خطورة الحدث وما يترتب على هذه الخطورة من أحداث تالية ممنطقة، وقد لا يكون الوصف على الرغم من أهمية التوثيق مقصوداً لذاته بل يكون الهدف منه الإشارة إلى جسامة الحدث الذي وقع في الرواية، وقد يكون منبثقاً من منظور إحدى الشخصيات التي عايشت المكان والإنسان معايشة صحيحة " (٣) .

والوصف لا يكون تفصيلياً بالقدر الممل للقارئ والناقد والمتلقي، إنما لابد أن يكون فناً يخدم الحدث والشخصيات في الرواية لأن " براعة الوصف في التكنيك القصصي تدل على أن الأديب وصاف بارع، ولا يتحقق للكاتب هذا الأمر إلا إذا كان موسوعي الثقافة، خصب الخيال، بارع الصنعة يتمتع بحس فني وله وعيه القوي بالفن التشكيلي لأنه يرسم بريشته لوحات فنية في ميدان إبداعه تعانق السمو والألقه، حيث يجيد توزيع الظلال والأضواء ويحرص على نقل المشاهد الحدسية من خلال كاميرا تصوير تنقل الحدث بالصوت والصورة إلى القارئ والناقد والمتلقي، حيث يعمق المعاني في الوجدان ويرصد الأشياء بحاسة فنية مميزة " (١) .

وكما يلعب الوصف دوراً في تجسيد الحدث، يلعب دوراً مهماً في جميع صور الإبداع الأدبي، حيث يعتمد على تكثيف المشاعر والأحاسيس لدى القارئ، ويضفي على التقارير السردية شيئاً من العمق والحيوية والحركة، كما أنه يدفع عجلة أحداث الرواية إلى الأمام .

" وقد تبلغ براعة الكاتب في الوصف ودقة التصوير شأناً عظيماً حينما تتأجج جذوة خياله ويحكم قبضته على الجانب التصويري في السرد، ويحرص أشد الحرص على جعل ألفاظه وكلماته جنوداً يسعون في السرد من أجل إقامة عمارة القصص من خلال لبنات فنية مصورة مجسمة حيث تحتشد الأحداث في لقطات فنية مصورة ومجسدة ومعبرة، حيث تنطلق من منظور النفس المميز وكأن وجدانه معملاً للتصوير البارع " (٢) .

---

(١) محمود دياب، نظرة نقدية في فن الرواية المصرية، ص ١٨٠ .

(٢) المرجع السابق ص ١٨٢ .

وقد تحدث الكاتب " يحيى حقي " عن طبيعة الوصف ودوره في الرواية، وما يترتب على ذلك من تقسيم الوصف عنده إلى استاتيكي، وديناميكي، وبناءً على ذلك تقسم الرواية إلى رواية استاتيكية، وأخرى ديناميكية، أي ساكنة ومتحركة .

" فالوصف الاستاتيكي أو الساكن هو الذي يهتم بالتفاصيل الدقيقة والبسيطة، وهو ما يميز الثلاثية، والواقع أنك لن تستطيع حذف هذه التفصيلات الدقيقة من القصة، كما لا تستطيع أن تحذف طوبة تعتمد عليها طوبة أخرى في البناء، ليس هذا بعيب، بل هو خاصية من خصائص النمو الاستاتيكي الذي لا يستطيع بدونها أن يؤدي رسالته، أو أن يبلغ حد الكمال في التعبير الفني كما بلغ " نجيب محفوظ "، فالتفاصيل الدقيقة هي خير أساس ملتحم أشد الالتحام بالزمن الذي يسير طولاً، بكراهة القفز، بتحريم الأحلام، بل أكاد أقول برغبة المؤلف في الاختفاء " [1] .

" أما الوصف الديناميكي المتحرك، فهو الذي لا يهتم برصد التفاصيل الدقيقة، بل يتجاوزها متحرراً من الخضوع للتسلسل الزمني الطبيعي كما في الوصف الساكن " [2].

والحقيقة أن " يحيى حقي " تحدث عن طبيعة الوصف ودوره في بناء الرواية، ويؤكد قيمة النقد الروائي، وهذا اكتشفه عندما أحصى المشاهد الوصفية في ثلاثية " نجيب محفوظ " .

وعلى ما سبق نستطيع أن نقول إن وظيفة الوصف في الرواية تختلف حسب توظيف الروائي له " فقد يكون مجرد زخرفة لفظية، ويكون في الأغلب بعيداً عن سياق الأحداث، لا يساعد في تطورها ولا نحو الحبكة، وقد يقوم بوظيفة تفسيرية، حيث يكشف لنا عن طبيعة الشخصية المادية والمعنوية، وانعكاس ذلك على أحداث القصة " [3] .

---

(١) يحيى حقي، عطر الأحباب، الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٨٦ ص ٥٩، والرواية المصرية في ضوء المناهج النقدية الحديثة د / وجيه يعقوب، السنة كلية الآداب ص ٣٧ .

(٢) وجيه يعقوب، الرواية المصرية في ضوء المناهج النقدية الحديثة، ص ٣٩ .

(٣) د / وجيه يعقوب السيد، الرواية المصرية في ضوء المناهج النقدية الحديثة، ص ٣٩ .

المبحث الثالث

وصف المكان

يعد " أمين يوسف غراب " أحد الأدباء الوصافين وأحد أساطين الفن الروائي حيث ينتمي إلى جيل الستينات الذي يضم كبار القصاصين أمثال : " نجيب محفوظ "، " ويوسف السباعي "، " ويوسف إدريس "، " ومحمد عبد الحليم عبد الله " وغيرهم، هؤلاء الذين أثرى بهم الأدب القصصي إثراءً كبيراً .

ومن الأمور التي برع في وصفها " أمين يوسف غراب " وصف المكان، والمكان من العناصر الهامة في الرواية، حيث يعطي للقارئ إيهاماً بالواقع، ويجسد الأفكار والمشاعر، كما يمثل الخلفية التي تنشأ فيها أحداث الرواية، ولذلك " نظر إليه الناقد " سيد قطب " على اعتباره خلفية للنص، كما أنه يهيئ القارئ للدخول في الأحداث، لذلك فلابد على الروائي أن يستغرق في الوصف فصلاً بأكمله، فليس لنا على ذلك أي مأخذ أن يبذل قصارى فنه لتندمج فنه في جو روايته، فإذا كانت روايته تجري في عصر فرعوني مثلاً، فليعمل على نقلنا إلى جو هذا العصر ... وإذا كانت الرواية تجري في حي فقير فليصف لنا الحي كأننا نراه ونعيش فيه " [1] .

أما " يحيى حقي " : " فقد تجاوزت نظرته لدور المكان في الرواية مجرد كونه تهيئة للقارئ للدخول في الأحداث إلى اعتباره عنصراً رئيساً من عناصر بناء القصة، حيث يفيد في الكشف عن عالم الشخصية وطبيعة الأحداث الروائية " [2] .

والحقيقة أن المكان عند " سيد قطب "و" يحيى حقي " له دور باعتباره عنصراً رئيساً في الرواية، ولا يقل أهمية عن الشخصية والأحداث والحبكة فهو يساعد على رسم الشخصية، وتطور الأحداث، فلا يمكن الاستغناء عنه لأنه يعكس حقيقة الشخصية ومزاجها، ولأنه تجري فيه الأحداث، وتتحرك فيه الشخصيات، فهو له هدف وليس عنصراً مهملاً بل له قيمة كبيرة .

---

(١) عبد الحميد جوده السحار، همزات الشياطين ص ١٦٩، فصل بين الرواية والأقصوصة، مكتبة مصر، الرواية المصرية في ضوء المناهج النقدية الحديثة، د / وجيه يعقوب، ص ٣٧ .

(٢) د / وجيه يعقوب، الرواية المصرية، ص ٣٧ .

إن المكان " ليس عنصراً زائداً في الرواية، فهو يتخذ أشكالاً ويتضمن معاني عديدة، بل إنه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله " (١) .

والمكان له وظيفة عظيمة داخل الرواية فقد يظهر مجرد خلفية تتحرك أمام الشخصيات، وقد يظهر معبراً عن نفسية الشخصيات وهنا وفي هذه الحالة " يبدو المكان كما لو كان خزاناً حقيقياً للأفكار والمشاعر والحدوس، حيث تنشأ بين الإنسان والمكان علاقة متبادلة يؤثر فيها كل طرف على الآخر " (٢) .

ويبدو أن الوصف هو الوسيلة الوحيدة في تصوير المكان " والوصف هو محاولة لتجسيد مشهد من العالم الخارجي في لوحة مصنوعة من الكلمات، والكاتب عندما يصف لا يصف واقعاً مجرداً، ولكنه واقع مشكل تشكيلاً فنياً، إن الوصف في الرواية هو وصف لوحة مرسومة أكثر منه وصف واقع موضوعي " (٣) .

ولعل الوصف لا ينقل الأشكال والألوان كما تراها العين إنما ينقلها من منظور نفسي يخدم الرواية، ومن خلال لغة معبرة عن مزاجات الشخصيات، ومن الأمور التي برع في وصفها " أمين يوسف غراب " في رواياته المكان الذي يعد المسرح الذي تجري عليه أحداث قصصه، حيث عكف الكاتب على حصر واستقصاء الأماكن ووصفها وصفاً دقيقاً مفصلاً ولاسيما " أن المكان يمثل الخلفية النفسية للشخصية القصصية حيث إنه يسهم في بلورة حركة الصراع الديناميكية في وجدان الشخوص " (٤) .

ويعد المكان عند " أمين يوسف غراب " من أهم مفردات القص الحديث، حيث يعني الروائي برسم أبعاده رسماً فنياً، ويعد " أمين يوسف غراب " من أهم الروائيين العرب الذين صوروا هذه القسمات المكانية بدقة المتمكن، ولذا عكف كاتبنا على تجسيد الأماكن خلال نسيجه الروائي،

---

(١) بحراوي حسن نبيه، الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ١٩٩، ص ٣٣ .

(٢) بحراوي حسن نبيه، الشكل الروائي، ص ٣٣ .

(٣) سيزا قاسم، بناء الرواية، ص ١١١ .

(٤) د / محمود دياب محمود، نظرة نقدية في فن الرواية المصرية، ٢٠٠٧، ص ١٨٣ .

وأظهر ما يحمله المكان من دلالات وإشارات خصبة تسهم بدور وفير في إظهار مشاعر الشخصية التي تتعامل مع المكان .

ففي رواية (الأبواب المغلقة) التي تعد من أهم أعمال " أمين يوسف غراب " الروائية التي تحكي عن " زينب عبد العال الشوباشي " التي تنتمي إلى الطبقة الأرستقراطية، حيث تملك الكثير من الأراضي والأموال، ولكن دوام الحال من المحال، فيموت زوجها وتترمل وهي في ريعان شبابها، ناهيك عن جمالها الأخاذ، ولكنها وقعت في شباك ناظر الزراعة فتحمل منه سفاحاً، فتحاول أن تخفي حملها، وتتستر على فضيحتها فلما وضعت ألقت بالطفلة إلى قارعة الطريق، فتلتقطها إحدى السيدات، والأم تراقبها عن كثب، ثم تتزوج المرأة التي تبنت الفتاة فتلقي بها إلى قارعة الطريق أيضاً، وهي في السابعة من عمرها، فتلتقطها إحدى راقصات شارع الهرم، وتعلمها الرقص، ويذهب ناظر الزراعة إلى أمها ويتطور الحديث بينهما حتى قرر الخلاص منها فقتلها، وكانت الفتاة الراقصة بعلاقة مع أمها دون أن تعرفها أنها أمها، وبالتالي اتهمت " زينات " الراقصة بقتل " زينب "، وتنتهي القصة والتحقيق عن طريق وكيل النيابة أن القاتل هو ناظر الزراعة وهو والد وكيل النيابة وأبو الفتاة .

أما المكان الذي يصفه الروائي لابد من أن يحمله الكاتب إشارات ودلالات وانطباعات خاصة " فليس من شك في أن الروائي عندما يصف المكان يحمله إشارات وانطباعات خاصة، والثابت ــ أيضاً ــ أن الكتاب يختلفون فيما بينهم في كيفية هذا الوصف، وإن كان الأسلوب السينمائي قد تسلل إلى الروائيين العرب المعاصرين " [1] .

ولعل " أمين يوسف غراب " من أهمهم في هذا المنحى الوصفي، فهو يملك حاسة فنية في سرده، ويكتب المقاطع التصويرية، ويبعد عن كل ملمح توصيفي، وقد تأتي مقاطع وصف المكان طويلة أو قصيرة حسب طبيعة المكان، ويوظف هذه المقاطع في خدمة بناء الرواية .

(١) أبعاد المكان الفنية في عصافير النيل، لإبراهيم أصلان د / أحمد عوين، دار الوفاء للطباعة والنشر ط ٢٠٠٤، ص ٤٦ .

فعندما ذهب وكيل النيابة إلى منزل " زينات " الراقصة ليسأل عنها، لأنه مال إليها ووقع في حبها مع أنه أخته ولكنه لا يدري، وهنا يوقف الكاتب زمن السرد حتى يصف مكان الشقة التي تقطنها " زينات " في مقطع وصفي طويل فيه استقصاء وتفسير .

" كان من الأمور التي يسرت لي مهمتي كثيراً وأعفتني من أكثر من حرج كنت أنتظره .. المكان الذي ذهبت إليه في مصر الجديدة وموقع البيت الذي تقطنه الفتاة .. فقد كان المكان هادئاً إلى حد كبير .. والبيت يكاد يكون خالياً من كل جانب وأمام البيت يقع الطريق مباشرة وهو طريق عريض جداً .. يليه مباشرة ميدان السبق الفسيح وكان الوقت ليلاً .. والطريق خالياً من المارة تماماً .. اللهم إلا سيارة تغدو أو تجيء يقودها عاشق ولهان أو محب تجلس بجانبه حبيبة مدلهة .. أو بعض العشاق من الفتيان والفتيات ينقلون الأقدام في خطو هين فتتكسر أعطاف العذارى اللائي تتمايل خصورهن وهن يسرن متأبطات الأذرع بجانب سور الميدان الفسيح. ومثل أولئك أو هؤلاء في استطاعة من كان في مثل حالي أن يطمئن إليهم وإلى أن نظراتهم لا تمتد إلى أكثر من وجه الحبيب، وأن عيونهم لا تبصر غير بسمة الثغر أو عذوبة الشفاة، ولا تتطلع لغير رقة الخد أو لفتة الجيد وإن زادت فإلى استدارة الجبين أو رجفة الشعر .. ومع ذلك تريثت كثيراً وتصرفت بحذر شديد وحرص بالغ الدقة .. إذ قطعت الطريق أولاً عدة مرات رائحاً غادياً .. ومع أني لم أجد إلا كل ما يطمئن .. ومع وثوقي من أن أحداً في هذه الضاحية النائية لا يعرفني من قريب أو بعيد .. فقد ذهبت إلى شارع آخر يبعد كل البعد عن هذا الشارع الذي أريده وأوقفت سيارتي هناك .. وعدت إلى بيت الفتاة على قدمي .. ومن حسن الحظ أنني لم أصعد غير درجات قليلة العدد جداً حتى وجدتني بعدها أمام باب مسكن الفتاة مباشرة .. وقد سرني هذا ووقفت لحظات استعدت فيها أنفاسي قبل أن أدق جرس الباب .. ولما دققت الجرس .. لم يفتح الباب سريعاً .. ولم يرد أحد في الداخل على الفور مما جعلني أظن أن لا أحد في البيت ولولا أنني رأيت بعض شعاع من نور تسرب إلى عيني من خلف شراعة الباب الزجاجية لانصرفت .. ثم رأيت النور بعد لحظة يضيء الصالة من الداخل وسمت صوتاً أعرفه جيداً وأعرف نبراته جيداً " [1] .

(١) أمين يوسف غراب، رواية الأبواب المغلقة، دار المعارف ط ١٩٦٣، ص ١٦٢، ١٦٣ .

وفي مقطع آخر يصور فيه شقة الفتاة ومحتوياتها ليلقي بظلاله على البعد الروحي الذي هو تجسيد للمحور النفسي لشخصية " زينات " ٠

" ولما دخلت ٠٠ لم أرها ٠٠ حتى إنني ظننت أنها إنما انصرفت إلى الداخل ٠٠ ولكني لما استدرت لأغلق الباب رأيتها مختفية خلفه تلم ــ وهي تكاد ترتعش من الخجل ــ أطراف تلك الغلالة الرقيقة فوق ما تعري من جسدها ٠٠ فأغلقت عيني على الفور ٠٠ حتى لا تتسرب نظرة أخرى على الرغم مني ــ كما حدث ــ وترى غير الوركين وثنية الساق التي تشع نوراً من خلف نسج الغلالة الرقيقة السوداء وابتعدت خطوات ٠٠ كان ظهري أثناءها لها ٠٠ ولما انصرفت هي إلى إحدى الغرف وتأكدت من أنني وحدي في البهو ٠٠ فتحت عيني ٠٠ فلم أجد غير كنبة واحدة مستطيلة وضعت في صدر البهو وكانت هي كل شيء تقريباً فيه٠٠ فجلست٠٠ ومن ثم رحت أتلفت حولي وأتطلع إلى متاع البيت البسيط المتواضع الذي ينم عن ذوق من غير شك ٠٠ ولكنه في الوقت نفسه يعبر عن فقر مدقع ويعبر عنه في صورة واضحة من صوره البغيضة التي تتمثل في كل شيء ٠٠ وشاهدتها في كل شيء : في الكنبة التي أجلس فوقها وقد تآكل غطاؤها وبرزت نتف القطن السوداء المغبرة على جوانبها أشبه ما تكون بأمعاء جثة متعفنة ٠

في المصباح الكهربائي الصغير المعلق في وسط البهو يرسل ضوءه الشاحب في صمت ٠٠ وقد تركت عليه آثار الذباب بقعاً سوداء أشبه ما تكون بآثار الجدري في الوجه السمح ٠٠ كما شاهدت هذه الصورة البغيضة للفقر بشكل أوضح في الطاولة الصغيرة التي كانت بجانب الكنبة والتي رأيت فوقها بقايا طعام متواضع جداً ٠٠ نصف رغيف جاف يعبث صرصار في قلبه وطبق صغير به بعض حبات سوداء صغيرة الحجم من الزيتون ٠٠ وبجانب الطبق ورقة صغيرة ملفوفة على بقايا من قطع الجبن الرومي التي سال زيتها حتى تلوثت به الورقة بحيث أغرى بها صرصاراً آخر راح يلف ويدور حولها [1] ٠

ثم يصف في مقطع ثالث حجرة النوم وأثاثها في لوحة فنية بارعة تنم عن قدرة الكاتب على الوصف الذي ينم عن حالة الشخصية الاجتماعية والنفسية ٠

---

(١) أمين يوسف غراب، رواية الأبواب المغلقة، ص ١٦٥، ١٦٦ ٠

" وبرغم الأشياء الكثيرة التي كانت تلفت النظر في هذا المخدع المتواضع جداً، والتي تنم في مجموعها عن فقر وفاقة إلا أنني استشعرت هدوءاً وطمأنينة ورائحة زكية أشبه ما تكون برائحة الطهر ... وانصرفت، وإذ دسست يدي تحت الوسادة ووضعت بجانب المصحف مباشرة، كل ما كان في جيبي من النقود، وأنا أفعل ذلك خشية أن تراني " [1] .

هذه المقاطع الوصفية التي عمد فيها الكاتب إلى وصف المكان نلاحظ أن وصف المكان يتناسب تماماً مع الجو النفسي للشخصية التي تعيش فيها " زينات " التي تبكي حالها وما آلت إليه من فقر شديد .

ففي المقطع يبين المكان وهدوءه وخلوه من المارة، حيث الشوارع الواسعة، وهذا يدل على أن المكان الذي تقطنه " زينات " بعيد عن العيون، وهو ما يتناسب مع نفسية " زينات " الخائفة التي تترقب بسبب اتهامها بقتل " زينب "، وكذلك يتناسب مع وكيل النيابة الذي يذهب إلى " زينات " على أنه عاشق ولهان بها، فهذا الهدوء والسكون والرومانسية تناسب مع هذا الطريق الذي يعد ملتقى العشاق .

" كان من الأمور التي يسرت لي مهمتي كثيراً وأعفتني من أكثر من حرج كنت أنتظره .. المكان الذي ذهبت إليه في مصر الجديدة وموقع البيت الذي تقطنه الفتاة .. فقد كان المكان هادئاً إلى حد كبير .. والبيت يكاد يكون خالياً من كل جانب وأمام البيت يقع الطريق مباشرة وهو طريق عريض جداً .. يليه مباشرة ميدان السبق الفسيح وكان الوقت ليلاً .. والطريق خالياً من المارة تماماً .. اللهم إلا سيارة تغدو أو تجيء يقودها عاشق ولهان أو محب تجلس بجانبه حبيبة مدلهة .. أو بعض العشاق من الفتيان والفتيات ينقلون الأقدام في خطو هين فتتكسر أعطاف العذارى اللائي تتمايل خصورهن وهن يسرن متأبطات الأذرع بجانب سور الميدان الفسيح"[2] .

(١) أمين يوسف غراب، رواية الأبواب المغلقة، ص ١٨٤ .

(٢) أمين يوسف غراب، الأبواب المغلقة، ص ١٦٢ .

فهذا الوصف يتناسب تماماً مع حالة ونفسية وتضاريس العشاق ومع وكيل النيابة بصفته عاشق ولهان .

وكذلك يتناسب تماماً مع " زينات " التي ترهبها عيون الناس وهي متهمة في قتل " زينب الشوباشي " فالمكان بعيد فيعمق في نفسها أنه بعيد عن العيون فيتناسب مع هروبها ونفسيتها .

ومما يلفت النظر في هذا المقطع أن الكاتب استخدم مصطلح الزمكانية حيث جعل هناك تداخلاً بين المكان والزمان حيث اختار الليل الذي ألبس المكان عباءة الهدوء والطمأنينة والرومانسية، فالزمن أيضاً يتناسب مع وكيل النيابة بصفته عاشق، ويتفق مع " زينات " لأنه في نظرها هي ستر عن عيون الناس، ويناسب مع نفسيتها الخائفة المرعبة حيث بالليل فيه الوحشة والخوف والرعب .

وفي المقطع الثاني عندما يصف المزلاج الذي يعطي صوتاً بغيضاً، وهذا يدل على أن الباب لم يفتح منذ زمن، ويدل أيضاً على خوف " زينات " من أن يراها أحد، وهذا الخوف يتناسب مع نفسيتها وحالتها، والدليل على ذلك أنها لما علمت أن وكيل النيابة جاء ارتعدت وارتعشت ودب في قلبها الخوف، ورفرف القلب في جنبها كالذبيح .

أما وصفه الأثاث الذي يتكون منه المنزل فهو ينم عن فقر مدقع وعوز مفجع يتناسب مع حالة الشخصية الاجتماعية والمادية والنفسية، حيث طردت من الملهى الذي كان مصدر رزقها بسبب الاتهام الموجه إليها فأصبحت فقيرة معدمة، فالأثاث يدل على ذلك فهو فقير أيضاً .

وهذا المقطع يعد من أهم مشاهد اللوحة النفسية التي يرسمها الكاتب منعكسة من عيني " زينات " وهي ماكثة في البيت، وفي الليل وحيدة بعد موت " زينب " لذا نجد هذه اللوحة تملؤها ظلمة وسواد وخطوط عتمة، ونور خافت، فهي لوحة تعكس حال زينات النفسية بخلو المكان من الحياة الطبيعية التي يفارقها الأمن والأمان، وهذا تمهيد من الكاتب لتبرئتها من الجريمة والتهمة التي وجهت إليها .

ثم يصف غرفة النوم التي تخص " زينات " والتي تنم عن حالتها الاجتماعية حيث أصيبت بالفقر والعوز المفجع، وعن صورة بغيضة تتمثل في كل شيء في الغرفة " ورغم الأشياء الكثيرة التي كانت تلفت النظر في هذا المخدع المتواضع .. والتي تم في مجموعها عن فقر وفاقة .. ووجدت مصحفاً على الوسادة فوضعت تحت الوسادة ما كان في جيبي من النقود وأنا أفعل ذلك خشية أن تراني " [1] .

والحقيقة في هذا الوصف أقحم الكاتب المصحف الشريف وهو موضوع في مخدعها حيث لم يظهر الكاتب أثر هذا المصحف أو دوره في الأحداث، فهذا إقحام لا داعي له، ونلاحظ في المقاطع الوصفية في رواية (الأبواب المغلقة) من سمة رومانسية، فالشوارع خالية، والضوء الخافت .

والكاتب وظف هذا توظيفاً دقيقاً ليتناسب مع الشخصيات التي تعيش في هذه الأماكن، وقد شحنت بشحنة رومانسية مشوبة بشيء من الخوف والحيرة والقلق عند " زينات " .

حتى المأكل والمشرب لم يغفلهما " أمين يوسف غراب " لأنهما يشكلان مؤشراً هاماً بالنسبة للطبقة الاجتماعية التي تنتمي إليها الشخصية، وإلى مزاجها الخاص .

والوصف المكاني في رواية (الأبواب المغلقة) ينم عن فقر مدقع، وعن صورة واضحة ناطقة بل صور هذا الفقر البغيض وهذا واضح في قوله :

" فتحت عيني .. فلم أجد غير كنبة واحدة مستطيلة وضعت في صدر البهو، وكانت هي كل شيء تقريباً فيه .. فجلست .. ومن ثم رحت ألتفت حولي وأتطلع إلى متاع البيت البسيط المتواضع الذي ينم عن ذوق من غير شك .. ولكنه في الوقت نفسه يعبر عن فقر مدقع، ويعبر عنه في صورة واضحة من صوره البغيضة التي تتمثل في كل شيء .. وشاهدتها في كل شيء : في الكنبة التي أجلس فوقها وقد تآكل غطاؤها وبرزت نتف القطن السوداء المغبرة على جوانبها أشبه ما تكون بأمعاء جثة متعفنة .

---

(١) أمين يوسف غراب، الأبواب المغلقة، ص ١٨٤ .

في المصباح الكهربائي الصغير المعلق في وسط البهو يرسل ضوءه الشاحب في صمت .. وقد تركت عليه آثار الذباب بقعاً سوداء ما تكون بآثار الجدري في الوجه السمح .. كما شاهدت هذه الصورة البغيضة للفقر بشكل واضح في الطاولة الصغيرة التي كانت بجانب الكنبة، والتي رأيت فوقها بقايا طعام متواضع جداً .. نصف رغيف جاف يعبث صرصار في قلبه، وطبق صغير به بعض حبات سوداء صغيرة الحجم من الزيتون .. وبجانب الطبق ورقة صغيرة ملفوفة على بقايا من قطع الجبن الرومي التي سال زيتها حتى تلوثت به الورقة بحيث أغرى بها صرصاراً آخر راح يلف ويدور حولها "[1] .

هكذا من خلال الوصف يجسد الكاتب بؤس " زينات " خلال صور ميلودرامية رسمها المكان حيث تعاني من الفقر المدقع، والعوز المفجع، وتنصهر في بوتقة الحرمان .

خلال المقاطع الوصفية السابقة تبين أنه ليس من شك في أن " أمين يوسف غراب " عندما وصف المكان حمله إشارات وانطباعات خاصة بالشخصية ونفسيتها .

وهذه المقاطع التصويرية، تتوزع على لقطات تتراوح في القرب والبعد بانتظام .

وهذا الوصف يتناسب أيضاً مع الجو النفسي للشخصيات " فزينات " تبكي بكاءاً مريراً، واتهمت بجريمة لم ترتكبها فهي في نظر المجتمع مجرمة، ناهيك عن أنها فقيرة معدمة بسبب طردها من الملهى الذي كان مصدر رزقها، وذلك بسبب الاتهام الذي وجه إليها بقتل " زينب الشوباشي" .

والوصف يجسد لنا الفقر والعوز وكأنه يصور العدم شاخصاً وهو محيط بالشخصيات، وقد أسهب " أمين يوسف غراب " في هذا الوصف حيث وصف جميع جزئيات المكان المحيط بالشخصية " زينات " ويستشرف الكاتب من خلال بعد آخر غير الظاهر من وصف المكان، وهو ذوبان شخصية " زينات " في المكان حتى أنها أصبحت شيئاً من الأشياء التي يحويها ذلك المكان، وكأنها تتفاعل مع تلك الأشياء وبينهما علاقة نفسية .

ثم ينقلنا الكاتب إلى مسرح آخر من المسارح التي وقعت فيها أحداث الرواية وهو القصر،

---

(١) أمين يوسف غراب، الأبواب المغلقة، ص ١٦٥، ١٦٦ .

قصر والد وكيل النيابة الذي هو في الحقيقة قاتل لأم " زينات " .

والمقطع الذي يصف فيه القصر ينم عن إشارات ودلالات ألا وهي الغنى واليسر والترف والنعيم الذي يعيش فيه ذلك الرجل، وذلك لأن المكان الذي يسكنه الشخص مرآة لطباعه وحاله، وهو يعطينا نبذة عن حياة الساكن لهذا المكان .

فالقصر الذي يصفه الكاتب في تلك الرواية مرآة لساكنه تتشكل على شاكلته ويعكس شخصية الساكن ومزاجه، بل إن المكان له مدلول نفسي حيث يمثل نوعية الطبقة التي ينتمي إليها الساكن لما فيه من مظاهر البذخ وغيرها .

يصف هذا القصر على لسان وكيل النيابة " .

"وكنت قد وصلت إلى بيتي في تلك الليلة .. وكان البيت الذي نقطنه قصراً على النيل ... كانت قد ورثته أمي عن جدها ... وكانت أبهاء القصر وحديقته الواسعة مكتظة بالناخبين من أهل الدائرة ... التي كان أبي مرشحاً لعضوية الشيوخ ... وكمان يبني على نجاحه في هذه الانتخابات الكثير من الآمال العراض .. ولذلك كان اهتمامه بهذه المعركة زائداً ... يشغل كل رقته ... وكل تفكيره .. وكنت متعباً جداً ... وأشعر بإرهاق شديد ... فقد ظللت ما يزيد على اليومين في تحقيقات دائمة ... ولذلك فكرت أن أتسلل من الباب الخلفي للقصر ... ولا أدخل من باب الحديقة ... حتى لا أشارك في هذا النفاق الاجتماعي ... وأظهر بغير مظهري ... كما يتطلب حال الانتخابات دائماً ... فأنت فيها مضطر إلى أن تعامل السفلة وقطاع الطرق، كما لو كانوا من الأنبياء والرسل ... كما أنك لا تجد فيها من يحتفي بك ... ويشيد بفضلك ... ويعانقك بحرارة ... إلا وهو لك من أشد الخصوم ... ولذلك عندما هبطت من السيارة أردت أن أتسلل خفية من جانب السور حتى لا يراني أحد، غير أنني في أثناء ذلك سمعت صوت أحد الخطباء ... فوقفت أستمع إليه ... وقد أطربني كثيراً إشادته بأبي ... وما أسبغ عليه من صفات ووصفه من وصف ... مما جعلني أكاد من الزهو أهتز في مكاني طرباً ... ومع ذلك عندما انصرفت ... وجدتني أسأل نفسي ... أهذا الخطيب مأجور أم هو مقدر ؟ ! وهل هو يقول هذا من قلبه ... وبدافع الحقيقة . أو هو يقوله من جيبه

.. وبدافع النقود التي تكتظ بها حافظته ؟ ! ومع ذلك لم أهتد إلى جواب ... ذلك لأننا أحياناً لا نستطيع أن نفرق بين الزيف والأصل ... ولا بين الصدق والكذب ... إذ في كثير من الأحايين يكون طلاء الزيف أشد إقناعاً ... وتكون حرارة الكذب أشد تأثيراً .

ثم انصرفت إلى الداخل .. وصعدت مباشرة إلى الطابق العلوي من القصر، حيث كانت والدتي في غرفتها تعاني آلام الربو الذي أخذت أزمته تشتد بها في تلك الأيام .. وكنت من ثلاثة أيام لم أرها .. فجلست معها حيناً .. وأطلعتني على سير المرض .. ونتيجة الدواء .. وكيف أنها بدأت تشعر بتحسن ملموس .. غير أن الذي كان يضايقها هو انشغال أبي في معركة الانتخابات .. والمتاعب التي يلاقيها في سبيل ذلك .. والمبالغ الباهظة التي ينفقها [1] .

خلال هذا المقطع الوصفي المسهب نجد أن المكان يتناسب تماماً مع الشخصية التي تسكن فيه، ويعبر عن أصحابها، وهو مرآة لتلك الشخصيات حين تعكس المزاج الخاص للشخصية، وتبين الحالة الاجتماعية لساكن هذا المكان حيث تمثل الشخصية طبقة معينة مميزة .

والحقيقة أن المكان ووصفه لم يلعب دوراً كبيراً في تطور الحدث أو دفعه إلى الأمام حيث القصر لم تقع فيه أحداث مرتبطة بالحدث الأصلي، بل نشعر أن الكاتب أقحمه في أحداث الرواية، وهذا الوصف أيضاً يخلو تماماً من التفاصيل التي تعتمد على المصطلحات الفنية الدقيقة من أنواع الزخارف وغيرها، إلا ربما كان يريد الكاتب أن يعقد مقارنة بين حالة الابنة " زينات"، وبين أخيها " وكيل النيابة " في المعيشة، وبين أن القاتل يعيش في حرية ورغد ونعيم، والمتهمة البريئة تعيش بين مخالب الفقر والعدم والعوز .

وينقلنا إلى مكان آخر من الأماكن التي تدور عليها الأحداث، حيث يصف الملهى وصفاً دقيقاً يدل على براعة الوصف ودقة التصوير :

" وكان لابد لي أن أراها على أي وضع لكي أطمئن عليها، ولذلك لم أجد بداً من الذهاب إلى الملهى .. وكانت هذه أول مرة أذهب إلى هذا الملهى الليلي، وابتعت تذكرة ووقفت في وسط

(١) أمين يوسف غراب، رواية الأبواب المغلقة، دار المعارف ١٩٦٣، ص ٨٠ ــ ٨١ .

هذا المكان الجميل الهادئ أتطلع إلى مائدة بعيدة عن الرواد، أجلس إليها .. إذ شعرت بحرج إذا أنا جلست بينهم .. فقد لاحظت أن كل رجل يجلس معه سيدة قد تكون زوجته وقد تكون غير ذلك، ولكنها سيدة على أي حال .. ولم أر واحداً يجلس بمفرده حتى الذين جاءوا دون أن يصطحبوا نساء معهم .. إنما فعلوا ذلك بغرض، وهو صلتهم ببعض الفتيات اللواتي يعملن في الملهى واللواتي يجلسن معهم علانية على الموائد أمام الجميع، وغير ذلك فلم أر مائدة واحدة خالية من الخمر وأنا لا أشرب الخمر أبداً، فكيف أجلس وسطهم بلا خمر وبلا نساء .. لهذا كله بحثت عن مائدة بعيدة عن الناس جميعاً، وجلست إليها .. ومن ثم رحت أنظر من بعيد إلى هذا الخليط الغريب من الناس، وإلى هذه الأماكن بالذات .. التي تظهر فيها أخلاق الناس على حقيقتها .. وإلى هذا التنافر العجيب وهذا التناقض الذي لا تجده إلا في هذه الأماكن، أو هذه الأوضاع التي لا تقبلها كرجل شريف إلا في هذه الأماكن فقط .. وتعجبت لماذا نحن نقبلها وفي هذه الأماكن بالذات " [1] .

ورحت أتأمل هذه المائدة التي يجلس إليها زوج وزوجته، وتلك التي تجاورها تماماً ويجلس إليها عشيق وعشيقته، وكيف أنك تستطيع بسهولة أن تتبين هذا من ذاك وأن مجرد نظرة عابرة إلى هذا الرجل المتزمت الذي يصطنع الوقار اصطناعاً والذي يضع نصف تقطيبة دائمة فوق جبينه، تستطيع أن تعرف أنه زوج، ونظرة إلى ذاك الذي يضحك ويهرج ويتحدث بهذا الصوت الصاخب وهذا الانطلاق بلا تحفظ تستطيع أن تعرف أنه عشيق.

وكذلك النساء .... فأنت من السهل عليك جداً في هذه الأماكن بالذات أن تتعرف بمجرد النظرة الخاطفة إلى شخصية كل واحدة منهن ... فهذه التي تجلس مرتدية كل هذه الثياب من الوقار والحشمة والتزمت الذي تعرف كيف تصنع منه في لحظة واحدة عدة ألوان " [2] .

وظللت كذلك أشاهد بعض الألعاب والنمر التي كان عرضها هذا الملهى على رواده .. إلى أن انطفأت أضواء المسرح فجأة انطفأ .. ؟ ! لا أدري .. ولكن الذي حدث أنني شعرت

(١) رواية الأبواب المغلقة ص ١٨٩، ١٩٠ .

(٢) رواية الأبواب المغلقة ص ١٨٩، ١٩٠ .

بانقباض بعيد .. وأنا أرى تلك الفرقة الموسيقية تخرج إلى المسرح وتعزف لحناً خاصاً .. وفجأة تعالى تصفيق يكاد يصم الآذان .. وكمان له وقع الصواعق في أذني .. ثم خرجت على إثره " زينات " تكاد تكون عارية تماماً إلا من بعض قطعات محددة من جسمها، وحتى هذه القطاعات أيضاً كادت تبدو عارية لولا بعض الأشرطة الحمراء والصفراء التي انعقد بعضها فوق أسفل البطن ... وتدلى بعضها الآخر وتناثر فوق الوركين ومؤخرة الأرداف " [1] .

ومما يحمد للكاتب أنه لم يغفل وصف الملهى الذي هو المصدر الوحيد الذي تعيش منه الراقصة، وهذا الوصف دمج الكاتب فيه بين المكان والشخصية، حيث يتناسب تماماً مع نفسية الشخصية، ومع مزاجها، ومع الملابس التي ترتديها، وكذلك يتناسب مع الأفعال التي رآها وهو مندهش منها .

ومن خلال المشاهد الوصفية للأماكن في تلك الرواية نلاحظ أن الأماكن التي وصفها " أمين يوسف غراب " تتناسب مع الجو النفسي لشخصيات الرواية، ويبدو هذا التوازن النفسي المكاني مع " زينات " الراقصة ومع وكيل النيابة .

ونلاحظ أيضاً أن الكاتب يعتمد على الوصف السردي للمكان لأن " هناك نوعاً من التداخل بين الوصف والسرد فيما يسمى بالصورة السردية، وهي الصورة التي تعرض الأشياء متحركة، أما الصورة الوصفية فهي التي تعرض الأشياء في سكونها " [2] .

وكان " أمين يوسف غراب " في تلك الرواية يصور الأماكن ويصف ما فيها من مرئيات، موظفاً ذلك توظيفاً دقيقاً في تطور الحدث وخدمة بناء الرواية .

أما في رواية (ست البنات) التي تعد من الأعمال المهمة في حياة " أمين يوسف غراب " والتي تحكي قصة فتاة تسمى " سميحة " التي حباها الله جمالاً أخاذاً وحسناً بارعاً، تزوجت من شاب يعمل محامياً، ويعد من أحد أساطين النفوذ لما لديه من أموال كثيرة، ولكنه لم يرض بامرأة واحدة

(١) المرجع السابق ص ١٩٢ .

(٢) سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، ص ٨٣ .

لأنه بطبعه زير النساء، فبدأ قلبه ينتقل من فتاة إلى أخرى كالفراشة ويعاشرهن معاشرة الأزواج في علاقة غير شرعية، ويتم ذلك كله في العوامة التي يمتلكها، والزوجة غافلة، ولكنها علمت بذلك فبدأت ترسم خطة لتوقف زوجها عن تلك المهاترات، ليكون لها وحدها، وقد نجحت بعد صراع طويل وبمساعدة خادمتها التي لعبت دوراً كبيراً في نجاح الخطة، وهي تبليغ أهل الفتاة التي يقيم معها علاقة دون معرفة المبلغ ونجحت في إقصائه عن ذلك .

فلجأ الكاتب إلى وصف المكان الذي يعطي صورة متخيلة عنه، وأنه ليس للزينة ولا لإظهار قدرة الكاتب على الوصف واستخدامه اللغة لكن لأنه ضروري وله دور في الأحداث لأن المكان " يعد من العناصر الهامة في الرواية، حيث يعطي وجوده للقارئ إيهاماً بالواقع الحقيقي، وبذلك تتجسد الأفكار والمشاعر في صورة حسية ملموسة، كما يتمثل المكان الخلفية التي تقع فيها أحداث الرواية، ولذلك فقد اهتم النقاد بدراسة منظور المكان في الرواية، سعياً وراء وضع تصور أقرب إلى الدقة عن طبيعة المكان " [1] .

فالمشاهد الوصفية للأماكن في تلك الرواية تعطي القارئ إيهاماً بالواقع الحقيقي، وبذلك تتجسد الأفكار والمشاعر، ففي وصفه لمكتب المحامي نراه يصفه وصفاً دقيقاً .

" كان مكتب المحاماة الذي افتتحه خيري عقب تخرجه، في إحدى العمارات الكبيرة بشارع قصر النيل ليستقبل فيه رواده وزبائنه، مؤثثاً أثاثاً فاخراً للغاية، فقد أنفق على تأثيثه ما يزيد على الألفين من الجنيهات، وهو لم ينفق عليه كل هذه النفقات ويؤثثه هذا الأثاث الفاخر من أجل راحة زبائنه فقط، أو الظهور أمامهم بمظهر الأبهة والثراء، وإنما أثثه وأنفق عليه لمزاجه الخاص، ومع ذلك كان لا يُرى فيه إلا نادراً . وإن ود فلموعد غرام، أو لقاء حبيب، أو إغراء غانية تواعد معها لأول مرة، أما زبائنه، أما أصحاب القضايا، أما أن تتسع أعمال مكتبه وتدر عليه إيراداً أو لا تدر، فهذا أمر لا يعنيه في شيء " [2] .

---

(١) د / وجيه يعقوب، الرواية المصرية في ضوء المناهج النقدية الحديثة، مكتبة الآداب ص ٢٤٠ .

(٢) أمين يوسف غراب، رواية ست البنات، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، ط / ١٩٥٩، ص ٩٨٠

في هذا المشهد الوصفي نجد الكاتب يصف وصفاً إجمالياً وليس وصفاً تفصيلياً، حيث لم يصف الكاتب الأثاث الفاخر الذي أشار إليه، والذي يتكون منه المكتب، ولكنه وصف المكان بدلالات وإشارات معينة تتناسب تناسباً نفسياً مع الشخصية وهو المحامي الذي أعد هذا المكان لصيد وإغراء النساء، ووصفه وصفاً عاماً غير مفصل واكتفى بتسمية الأشياء دون تجزئتها إلى مقوماتها وسماتها وهذا يدل على فقر هذا الوصف .

ولكنه في الحقيقة وصف يدل على الحالة الاجتماعية والنفسية للشخصية حيث يدل على أن حالتها ميسورة، ويشير الوصف إلى تناسب نفسي بين المكان والشخصية حيث أعده بهذا الأثاث الفاخر لإغراء الفتيات اللاتي تأتي إليه ويوقعهن في شباكه .

ويمثل الأثاث مظهراً من أهم مظاهر الحالة الاجتماعية ولذا اهتم الكاتب حيث وصف أثاث حجرة وكيل المحامي وصفاً دقيقاً ومفصلاً بين حالة " خيري " الاجتماعية .

" دردير أفندي " وكيل لمكتب مع مساعده في المكتب الأستاذ " عاكف القط "، يتحدثان به في الصباح في المكتب، ويتحدثان في الظهر في المحكمة يتحدثان به في الليل وهما في المكتب ينتظران الأستاذ فلا يجيء، إلا أنهما في هذا اليوم لم يتحدثا في هذا، ولا في غيره، بل لم يتحدثا في شيء أبداً ولم ينبس أحدهما بحرف، مما جعل منظرهما غريباً جداً وهما في غرفتهما المجاورة لغرفة مكتب الأستاذ مباشرة، والتي أثثت أثاثاً فاخراً هي الأخرى، سجادة كبيرة غالية، ومكاتب ضخمة دقيقة الصنع، وكل مكتب عليه منفضة سجاير غالية وأباجورة ترسل نورها ساطعاً يتلألأ، وليس في الغرفة من شيء قبيح المنظر سوى " دردير أفندي " الجالس إلى مكتبه الفخم " [1] .

وليؤكد الحالة الاجتماعية والغنى الفاحش الذي يتمتع به المحامي" خيري " تراه يصف حجرة صالون منزله في مقطع وصفي رائع .

" ودخل " دردير أفندي " غرفة الصالون، الفخمة، مثقلاً بمتاعه، الحقيبة الجلد الكبيرة المحشوة بدوسيهات القضايا، ومسبحته الكبيرة الحبات التي لا تفارق يده أبداً، ومظلته السوداء الباهتة التي لا تفارق يده الثانية، والتي يرجع تاريخها كما يقول إلى " علي باشا مبارك " مؤسس

(١) أمين يوسف غراب، رواية ست البنات، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت ١٩٥٩، ص ١٠٠ .

القضاء في مصر، ووضع كل ذلك على الطاولة، وهو يلقف أنفاسه كعادته كلما مشى على قدميه بعض الوقت، ونظر إلى الصالون، وما أن طالعته فخامته حتى راح يدقق النظر في كل شيء فيه، ويتحسس كل شيء بيده، ويتحسس نعومة المقاعد الحريرية وروعة الستائر ذات الألوان الأخاذة، إلى أن رأى في أحد الجوانب مرآة كبيرة فنظر إليها، وما أن رأى فيها صورته حتى ارتد خائفاً كأنه يرى شبحاً مخيفاً [1].

ومن ثم راح ينظر في إعجاب شديد ودهشة زائدة، إلى لوحة فنية تمثل جسد امرأة عارية في وضع فني رائع يبهر العين ويطرب النفس فعلاً.

" أمين يوسف غراب " اعتنى بتصوير الأماكن، ووصف ما فيها من جزئيات موظفاً إياها لخدمة وتطور الحدث وبناء الرواية، محملاً إياها انطباعاته وتصوراته عن المجتمع، ووصفه للمكان يجعلنا نلقي بأنفسنا في أعماق ذلك العالم الموصوف .

وهذا المقطع الوصفي لحجرة صالون منزل المحامي ينم عن وصف دقيق انتقائي، بمعنى أنه لا يعمد إليه إلا بقدر الحاجة، وذلك في لغة موحية مكثفة، وهذا الوصف يخدم بناء الرواية، والشخصية فوصفه بفخامة الصالون يبين الحالة الاجتماعية، ويعكس المزاج الخاص للشخصية بوصفه الصورة العارية الموجودة داخل الغرفة وبذلك استطاع " أمين يوسف غراب " أن يصيغ الوصف لهذه الأماكن بلغة موجزة مناسبة للمستوى الفكري والثقافي والاجتماعي للشخصيات، وبذلك لم يغفل الكاتب عن وصف مسكن المحامي ولا وصف مكتبه، ولكنه ربط بينهما حيث انتقل بنا من الوصف العام إلى الوصف الخاص، لأن الحجرة تعكس شاكلة الشخصية ومزاجها، بل تكشف عن المدلول الاجتماعي لتلك الشخصية والمدلول النفسي أيضاً، ولم يكن ملتقى العشاق بمنأى عن عين " أمين يوسف غراب " وهو المكان الذي يلتقي فيه " خيري " مع الغانيات حيث يستكمل به الكاتب أبعاد اللوحة الفنية للأماكن التي دارت فيها الأحداث، حيث تآزر الوصف في تجسيد البعد الظاهري للشخصية وهذا المكان هو العوامة التي يلتقي فيها " خيري " مع الساقطات، فيصفه الكاتب وصفاً تلقائياً لا استقصائياً .

---

(١) رواية ست البنات ص ١١٤ ــ ١١٥ .

" وقف يفكر في هذا كله، ويتأمل هذا كله، ويرقبه بعينيه المدغدغتين بفعل الخمرة الكثيرة التي شربها . وهو ينظر من بعيد إلى حلبة الرقص التي غطتها طبقات الدخان المتكاثفة، والأمواج التي تروح وتجيء في قلبها يهصر بعضها بعضاً دون أن يستهويه شيء مما يرى . اللهم إلا شيء واحد فقط هو الذي كانت عينه تحط عليه كما يحط العصفور المجهد على غصن رطيب، ذلك هو وجه " زينات " وكثيراً ما كان ينسى عينيه على وجهها، ولا يفطن لذلك إلا عندما يكاد يقع في مأزق وتراه " سميرة " أو " محاسن " أو " إقبال " أو غيرهن من صديقاته، وأصدقائه، ولما وجد نفسه كذلك وأنه غير قادر على أن يغالط نفسه كما غالط هؤلاء جميعاً وأن عينيه أعلنتا التمرد عليه ولم يقدر على أن يحولهما عن " زينات " تناول كأسه وترك المكان كله وانصرف إلى أحد ممرات العوامة، ووقف وحده فوق الماء يتأمل القمر والنجوم . وكأنها هي الأخرى العرائس الحسان ترقص فوق الأمواج . وراح يتأملها دون أن ينبس أو يتحرك " [1] .

وبلا شك أن المقطع الوصفي هذا يحمل إشارات وانطباعات خاصة حيث يتناسب المكان تناسباً تاماً مع الجو النفسي العام للشخصيات ولا يكتفي الكاتب بتلك الإشارات بل راح يعتني بالمكان كله من حوله بجزئياته الطبيعية، ويعكس هذا الوصف المزاج الخاص لزير النساء .

غير أن الكاتب في هذه الرواية لم يعتن بتصوير البيئة تصويراً شاملاً معبراً، إنما اقتصر على الحدود المكانية مثل العوامة والمكتب والبيت، وإنه كشف المضمون عنها بإشارات خارجية ولذلك " كان " بلزاك " يعير وصف المكان اهتماماً خاصاً أن المكان الذي يسكنه الشخص مرآه لطباعه، فالمكان يعكس حقيقة الشخصية من جانب آخر . إن حياة الشخصية تفسرها طبيعة المكان الذي يرتبط بها " [2] .

أما رواية سنوات الحب " لأمين يوسف غراب " التي تحكي قصة فتاة قامت برحلة من القاهرة إلى الإسكندرية، وفي أثناء تلك الرحلة قابلت شاباً يعشق الموسيقى حيث جلسا سوياً على مائدة بالقطار تحمل على سطحها وردة بنفسجية، وبالصدفة تلك الفتاة تعشق هذا اللون وتبادلا

---

(١) أمين يوسف غراب، رواية ست البنات، ص ٢٠٠ .

(٢) سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية، ص ٨٤ .

الحديث وأعجب كل منهما بالآخر، وتعلقت تلك الفتاة بذلك الشاب وعشقته دون أن تعرف شيئاً عنه حتى اسمه لم تعرفه وعاشت على تلك الذكرى رافضة الزواج على أمل، ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، وشاء الله أن تتزوج تلك الفتاة شاباً ضابطاً وصدفة تبين أنه هو شقيق الشاب الذي عشقته، وراودته تلك الفتاة ولكنه أبى حفاظاً على كرامة أخيه، وشاءت الأقدار أن " فتحي " زوجها يعلم بأن " إلهام " تحب " عادل "، ولكنه بأسلوب عوضها وجعلها تنسى ذلك الشاب .

وخلال قراءة رواية (سنوات الحب والضياع) " لأمين يوسف غراب " تبين أن هناك أشياء غائبة إلى حد بعيد، فالأماكن خالية من كل شيء حتى عند وصفه لمكان اللقاء، نجده لم يصف أساسيات إنما يصف أشياء لا تسمن ولا تغني من جوع، وصف أن هناك منضدة وعليها وردة فقط، لكنه لم يف الجو الذي يتفق ونفسية الشخصية، وبذلك غفل الكاتب عن الأشياء التي تناسب العشاق حتى الزمن لم يذكره ولم يذكر ساعة قيام القطار، وربما يدل ذلك على فقر البيئة وخلوها من الأشياء التي تمكن الروائي أن يتناولها بالوصف .

وإن كان الورد هو الذي يتناسب مع نفسية الشخصية العاشقة ولكن في الحقيقة هذا تلفيق للأحداث، فلماذا تلك المنضدة الوحيدة التي وضع عليها ورد بنفسجي، ولماذا بنفسجي بالذات ! وكيف تعشق الفتاة شاباً لم تعرف عنه شيئاً، وكيف تعيش على مجهول وتعشقه وتعيش على أمل تحقيق هذا المجهول؟؟ !! هذا تلفيق واضح للأحداث ليصل الكاتب إلى هدفه.

فهذه الرواية تفقد الرحابة والاتساع، وتمثل حيزاً محدوداً لا يتجاوز القطار، أن أكثر من ثلثي الأحداث تدور في القطار وهو مكان مغلق، وبذلك تطغى على الرواية نبرة السكون، وهذا الإحساس ينبع من الدائرة المغلقة التي تعيش فيها الشخصية، فالرواية إذن لا تعرف المساحة المترامية الأطراف، بل يحتويها مكان مغلق وهو القطار كما يصفه الكاتب .

" ولكنه لحق به، واستقبله على باب العربة، الخادم المختص، فتناول منه حقيبة صغيرة كانت في يده، ثم سأله عن رقم تذكرته، وسار أمامه يتخطى به عدة موائد، حتى أجلسه على مائدة ما ليجد نفسه وجهاً لوجه أمام تلك الفتاة التي كانت من لحظات قصار جداً تقفز أمامه كما يقفز الغزال بين الأشجار في الغابة .

وبدا القطار في سيره السريع . وبدا كل راكب ينشغل بشيء ما . وانشغلت هي بشيء كان أمامها على المائدة .. شيء كان يستحوذ على كيانها كله، وهو زهرة من زهرات البنفسج كانت في آنية صغيرة أمامها على المائدة .. وأحس هو باهتمامها الزائد بهذه الزهرة، أحس ذلك من نظراتها إليها، وحنوها عليها وتفتح قسمات وجهها وهي تتأملها وتتحسس أوراقها بأصابعها .

فقال وهو يخرج من جيبه كتاباً صغيراً من كتب السلاسل الشهرية كان قد صدر عن حياة الموسيقي الكبير " بيتهوفن " .

قال وهو يخرج الكتاب ويفتحه على صفحة معينة بالذات وينظر بنصف عينه إلى رقم الصحيفة، وبالنصف الثاني إلى أصابعها التي مازالت تتحسس الزهرة وتحنو على أوراقها .

ـــ يظهر حضرتك بتحبي الزهور ..

فقالت على الفور في طفولة مرحة :

ـــ أحب البنفسج بالذات [1] .

وهكذا حتى عند النزول المحطة ووصفه لها كان وصفاً مجملاً غير دقيق فلم يصف شيئاً في المحطة سوى القطار بوصف مجمل أيضاً .

" وما كادت قدمها تثبت فوق الرصيف حتى رأت القطار بوجهه الأسود الضخم مقبلاً يدوي صوته في أذنيها رقيقاً عذباً كالنغم تماماً، وما أن تهادى القطار، وبلغ نهاية الرصيف ووقفت عجلاته تماماً حتى راحت تنظر ذات اليمين وذات الشمال، وكل خلجة فيها تنظر أيضاً وكل جارحة فيها تسبق الأخرى، وتتطلع، لتكون هي البشير، وتكون هي أول من ترى إشراقة النور، عندما تهل وتسبق طلعته من قلب القطار [2] .

أما وصف المكان في رواية (شباب امرأة) تلك الرواية التي تحكي عن شاب مصري يدعى " إمام " ترعرع في قرية من قرى مصر، وعانى من الفقر الذي يعد سوطاً يلهب ظهره، وعزف سيمفونية الشقاء ولاسيما تآزر الفقر مع السذاجة .

---

(١) أمين يوسف غراب، رواية سنوات الحب، الكتاب الماسي ص ١٤، ١٥ .

(٢) رواية سنوات الحب، ص ٥٥ .

انتقل الشاب إلى القاهرة ينشد التعليم، فشاء القدر أن يسكنه في بيت امرأة تسمى " شفعات " تلك المرأة التي سقطت في جب الغواية والفجور والرذيلة والدنس فأحبت هذا الشاب صاحب العضلات القوية، وينابيع العافية المتفجرة في جسده، فوجدت ضالتها المنشودة في ذلك الشاب الجامعي، وصوبت إليه شباكها حتى أوقعته في حبها، ثم تزوجت منه وجعلت العصمة في يدها، ثم جاء " حسبو " ينصح ذلك الشاب ويريد الانتقام منها لأنه فعلت فيه ما ستفعله بذلك الشاب فقرر الانتقام وتمكن الغيظ والغل منه فقتلته فهذه الرواية صراع بين الرغبة الجامحة والفضيلة.

أما عن وصف المكان في تلك الرواية " فليس من شك في أن الروائي عندما يصف المكان يحمله إشارات وانطباعات خاصة، والثابت أن الكتاب يختلفون فيما بينهم في كيفية هذا الوصف وإن كان الأسلوب السينمائي قد تسلل إلى الروائيين العرب المعاصرين " [1] .

ولعل " أمين يوسف غراب " من هؤلاء الذين سلكوا هذا المنحى الوصفي، فهو كاتب يمتلك موهبة في سرده، ويوظفها باقتدار، يصف المقاطع بوصف تصويري، ويوزع اللقطات بين البعد والقرب بانتظام، وقد تأتي المقاطع في وصف مكان ما طويلة أو قصيرة، مستقلة أو متداخلة في الأحداث .

ومن المقاطع الوصفية التي وصفها " أمين يوسف غراب " في تلك الرواية منزل الشاب في قريته الذي يعيش فيه، والذي يعكس انطباعاته ومنزلة الشخصية الاجتماعية وحالتها، وينم أيضاً عن ملامح تلك الشخصية " .

" ودلف سريعاً إلى الدهليز، ودخل الحجرة التي تنام فيها أمه ... ولما لم يجدها اقتحم باباً صغيراً يفصل بين الحجرة و " التعريشة "، وهي خلف جدار الدهليز بجوار الطاحونة، ذات أربعة جدران مجدولة من أعواد الحطب والبوص وعيدان الذرة، وسره أنه رأى أمه معافاة متمالكة قواها، وقد علفت الجاموسة، وأشعلت الكانون ووضعت القدر عليه ... وشم الصبي رائحة البخار التي

(١) د / أحمد عوين، أبعاد المكان الفنية في عصافير النيل لإبراهيم أصلان، دار الوفاء للطباعة والنشر ط ٢٠٠٤، ص ٤٦ .

تتصاعد من القدر ... ونظر في داخله فرأى بعض حوافر الماعز وأرجلها تتناهبها النار في قلبه، تغوص حيناً وتطفوا أحياناً، فتذكر أن اليوم يوم الخميس، وهو اليوم الذي يجيء فيه أبوه من التفتيش ليبيت معهما في القرية [1] .

مع صغر هذا المقطع الوصفي إلا أنه ينم عن الحالة الاجتماعية للشخصية التي تعب من الفقر عباً، ومع ذلك راضية وقانعة بعيشها، فهنا يتحول السرد الوصفي إلى حركة تدب في أوصال الأشخاص والأماكن فتحولهم إلى كائنات حية على أرض الواقع، واستطاع هذا الوصف أن يضع أيدينا على حقيقة هذه الشخصية وحالتها النفسية وحالتها المعدومة ومع ذلك راضية .

وهذا المشهد الوصفي القصير الذي عمد فيه الكاتب إلى وصف المكان، يثير عدة ملاحظات :

أولاً : أن هذا الوصف المكاني يتناسب مع الجو النفسي العام للشخصيات فأم هذا الشاب رغم أنها فقيرة ويعلوها الهم إلا أنها راضية تماماً .

ثانياً : نلاحظ أن جدار الدهليز مطليٌ بالطين وذلك تعميقاً في استجلاء الموقف النفسي للشخصية، إضافة إلى تصوير الصورة في إطارها القديم .

ويتجلى وصف المكان في وصف الحارة والزقاق حيث ينقل الكاتب لنا هذا المقطع الوصفي البارع الذي ينم عن أن " أمين يوسف غراب " من الكتاب الوصافين، فيمارس الكاتب هوايته في الوصف فيصف البيت والزقاق والحارة وغرفة الشاب وصفاً دقيقاً .

كانت الغرفة التي اهتدى إليها، في بيت قديم في زقاق " الجنانية " المتفرع من حارة درب المسرات، في حي حوش الشرقاوي بباب الخلق، خلف ديوان المحافظة، تملكه "الست شفعات الخربوطلي" الشهيرة "بالمعلمة " وقد لاقى الشاب عناءً كبيراً حتى اهتدى إلى هذا البيت الذي كتب له عنوانه " محمدين " .. لأنك لكي تبلغ هذا البيت يتحتم عليك أن تصعد عشر درجات من الحجر القديم المتآكل تغمرها المياه القذرة صيفاً وشتاءً، وتعرف في الحي إلى الآن بـــ " سلالم السبيل

(١) أمين يوسف غراب، رواية شباب امرأة، سلسلة اقرأ دار المعارف، ط ٢ ص ٣٠ .

" ثم ينحدر منها يميناً إلى حارة درب المسرات، وتسير شوطاً كبيراً وسط عدة أبنية متلاصقة، حتى إن شرفاتها المصنوعة من خشب البغدادلي على الطراز العربي القديم المعروف " بالمشربيات " تكاد تكون متصلة، ولابد أن تجد أمام كل شرفة صنفاً من القلل القناوي ذات الألوان المختلفة، والأغطية النحاسية.. وعليك أن تسير في هذا الزقاق الذي يمتاز بطول غريب جداً حتى تقطعه إلى نهايته [1] .

ثم يسترسل الأديب في الوصف ويقرب بنا من الزقاق أكثر وأكثر ويجعلنا في دائرة الفنية.

ثم ينتقل بنا من الوصف العام إلى الوصف الخاص حيث يصف بيت المعلمة " شفعات " وصفاً دقيقاً يدل على براعة الوصف ودقة التصوير .

" وعند ذلك تبلغ " السيرجة " المعروفة في الحي بـ " سيرجه المعلمة " فتملأ أنفك رائحة الزيت والكسب والبذور العفنة فتسترد أنفاسك لأنك تكون قد بلغت البيت، وطالعك بابه الفولاذي الضخم الذي انتصب بين بعض الأقبية المهجورة والجدران المهدمة أشبه بتمثال ضخم قام بين الأطلال من عدة قرون " .

كان الباب من السمك والضخامة بحيث لا يمكن زحزحته أو تحريكه .. تزين جوانبه بعض نقوش نحاسية قديمة أكل الصدأ بعضها وبقي بعضها الآخر يغالب الزمن، ويتوسطه باب آخر صغير ذو " سقاطة " حديدية ضخمة، ما إن ترفعها بيديك حتى تسمع صوتاً مزعجاً بالداخل أشبه بأصوات الأواني النحاسية عندما تسقط على الأرض، فتتزعج وتخاف .. بيد أن هذا الخوف يزول عندما تتبين أنه صوت الجرير الطويل المعلق في طرف السقاطة من الداخل، ثم بعد ذلك ينفتح الباب، أو بمعنى أصح تنفتح الخوخة، فتحني رأسك، وتقوس ظهرك لتدلف منه، فإذا أنت أمام دهليز فسيح، ولكنه رطب مظلم، لا تستطيع من الظلام أن تبين بسهولة محتوياته، أو ترى ما يشبه الأشباح تطالعك في الظلام منتصبة على جوانبه، فإذا ما تبينتها جلياً عرفت أنها أبواب الغرف الثلاثة التي يتكون منها البيت، أو بمعنى آخر هي التي يتكون منها نصف البيت فقط، لأن النصف الآخر، وهو الذي في مواجهة الداخل، قبو كبير تتوسطه " السيرجة " وهي عبارة عن بئر فوقها

(١) أمين يوسف غراب، رواية شباب امرأة، ص ٤٧ .

حجر ضخم في وسطه دائرة كبيرة كدائرة الساقية يدور فيها حمار خلفه متاعبه وشقاؤه [1] .

ثم ينتقل من الوصف الخاص إلى وصف خاص آخر حيث يصف لنا محتويات البيت ومكوناته وغرفة وصفاً دقيقاً استقصائياً فوصف غرفة المعلمة " شفعات " وصفاً دقيقاً ينم عن الحالة الاجتماعية والحالة النفسية للشخصية .

" ثم بجانب مدخل السيرجة، وعلى يمين الدهليز، نصف برميل قديم امتلأ بالماء الآسن القذر، تعلوه طبقة خضراء لزجة، تتصاعد منها رائحة كريهة، تشبه رائحة الكسب والبذور العفنة التي تتصاعد من السيرجة وعلى رأس نصف البرميل، حنفية صغيرة تتساقط منها بعض نقاط الماء في هدوء حزين كما تتساقط في الليل دموع الثكالى، أما الغرف الثلاث فكانت إحداها — وهي على يمين الداخل مباشرة خلف الخوخة ذات باب نظيف يميل لونه إلى البياض، يعلوه شباك زجاجي مختلفة ألوانه، وكانت هذه الغرفة تمتاز عن غيرها بسرير كبير من النحاس قام في وسطها " كالتختروان " تزينه ملاءة محلاوي ذات مربعات بيضاء وحمراء، وتعلوه ناموسية من التل البمبي انعقدت في قلبه فغدت كالقبة المنقلبة في الهواء، ويمتاز هذا السرير أيضاً بعلو غريب، بحيث لا يمكنك اعتلاء سطحه إلا بواسطة سلم دائري وضع أمامه، وحليت درجاته الثلاث المبطنة بالقطن والحرير بغطاء من القطيفة الخضراء الباهتة، وحول كل درجة من الدرجات الثلاث برقع من القطيفة أيضاً تتدلى منه عدة شراريب ذات ألوان متعددة .. [2] .

ثم يصف غرفة " إمام " الشاب الذي جاء إلى القاهرة تصحبه طيبة وسذاجة الفلاح المصري .

" ويقابل السرير" بُريه " كبير وضع خلف باب لم يستعمل، كان فيما مضى يوصل إلى الغرفة الثانية التي تلي هذه الغرفة مباشرة، وهي الغرفة التي قطن فيها الشاب و" البريه " يكاد هو الآخر يكون في ضخامة السرير له عدة أدراج وخزانة كبيرة، وفوقه تحت المرأة رخامة كبيرة زرقاء تكسرت منذ سنوات، وقد امتلأ قلبه بعلب الثقاب الفارغة والإبر والدبابيس القديمة وعدة قطع من

(١) أمين يوسف غراب، رواية شباب امرأة، ص ٤٧ — ٤٨ .

(٢) أمين يوسف غراب، رواية شباب امرأة، ص ٤٨ — ٤٩ .

الفاسوخ والجاوي وعين العفريت، وبذور الكسبرة والشيح .. وقد تلوث هذا كله بسائل الشمع مما يدل على قدمه، حتى غدا منظره قذراً مشوهاً . وبجوار الشمعدان قلة بيضاء من الزجاج عليها باقة من الورد الصناعي الذي بليت أوراقه وتآكل بعضها ولوث الذباب بعضها الآخر، وحول عنق القلة عدة حبال رفيعة من الخرز الأبيض والأصفر والأحمر، علقت بها عدة حلقات نحاسية. ونصف مفتاح حديد قديم، وحجاب مغلف تغليفاً جيداً، ثم بجوار القلة كوز نحاسي، تزينه عدة نقوش عربية قديمة، وضعت عليه قطعة من اللوف، وصابونة حمراء ممسكة وبجانبه مكحلة ذات مرود نحاسي منقوشة ببعض النقوش العربية المرسومة على الكوز ..[1] .

ومن خلال المقاطع الوصفية السابقة الطويلة نجد أن الكاتب وصف الزقاق وصفاً دقيقاً ثم انتقل من الوصف العام إلى الوصف الخاص فوصف بيت المعلمة " شفعات " في مقطع جميل نقل فيه الكاتب القارئ والمتلقي والناقد إلى أيدلوجية هذه الحارة وهذا البيت حيث رصد واقعها المعاش فوصف الزقاق وصفاً دقيقاً مفصلاً، ومع أن الزقاق يعيش في شبه عزله إلا أنه يصبح بحياته الخاصة حياة تتصل في أعماقها بجذوة الحياة الشاملة .

وانظر إلى المقطعين اللذين وصف فيهما غرفة " شفعات " وغرفة " إمام " نجد أن محتويات الغرفتين تتناسب مع كل شخصية تعيش فيها .

ففي غرفة " شفعات " وصف بابها بأنه نظيف، وشباكها زجاجي جميل، ثم التفت إلى محتويات الحجرة فوصف السرير النحاس كأنه " التختروان " تزينه ملاءة محلاوي ذات مربعات بيضاء وحمراء، وناموسية من التل البمبي، ويمتاز هذا السرير بعلوه، وأمامه سلم حريري ومبطن بالقطيفة أيضاً .

فهذا الوصف يتناسب تماماً مع شخصية " شفعات " حتى باب الغرفة وشباكها والسرير ومكانه ينم عن الحالة الاجتماعية للشخصية ومكانتها، حتى التل لونه بمبي يتناسب مع مزاج ونفسية الشخصية، فهذا الوصف يجعل كأنك رأيت الغرفة رأي العين .

---

(١) أمين يوسف غراب، رواية شباب امرأة، ص ٤٩ .

أما غرفة " إمام " فنرى محتوياتها تنم عن الشخصية نفسها وحالتها الاجتماعية ومدى تناسب هذه المحتويات مع تلك الشخصية فلم يكن في غرفة " إمام " ما هو في غرفة " شفعات "، " فإمام " شاب فقير فلاح ساذج ومحتويات هذه الغرفة تنم عن الفقر المدقع والعوز المفجع والسذاجة المتناهية، فمن محتوياتها قلة زجاجية ملونة نقاط سوداء بسبب وقوف الذباب عليها طويلاً، ومفتاح حديد قديم، وكوز نحاسي، ومثل هذه المحتويات تتناسب مع الشخصية الفقيرة والساذجة، وتتناسب أيضاً مع نفسية تلك الشخصية .

وخلال هذه المقاطع الوصفية يتبين أن " أمين يوسف غراب " عكف من خلال نسيجه القصصي على تجسيد واقع الحارة المصرية، كما يحمل إيحاءات ظاهرة على دور هذه البقعة المكانية على الشخوص، حيث تسهم بدور كبير في تدفق مشاعرهم وأحاسيسهم وطبائعهم لأن الشخصية التي تتعامل مع المكان في أدب " أمين يوسف غراب " لا تتعامل مع جماد وغير ناطقة، بقدر ما تتعامل مع شخصية لها دورها في الصراع النفسي، فالمكان له دور في انبعاث الوعي للشخصية، " فإمام " الساذج القروي بهرته المدينة، ورضي بهذا المكان العفن القذر لأن حالته المادية والاجتماعية لا تستطيع أن تتعدى هذه الحدود لفقره، فالفقر والحالة الاجتماعية والنفسية تتناسب مع المكان، والمكان لعب دوراً كبيراً حيث جعل الشاب يرضخ لجبروت تلك المرأة .

أما " شفعات " فهي امرأة عصبية المزاج، شرسة الطباع، وربما يكون هو الذي ساعدها أن تشرف على أعمالها لوحدها، وجعلها تعيش في مكان أكثر جمالاً ليتناسب مع جمالها، وهذا المكان يتناسب مع الحالة الاجتماعية لتلك الأرملة .

فالتقرير السردي الوصفي للمقاطع السابقة يترجم لنا المشاعر النفسية ويرصد الأحاسيس البشرية للشخصيات وينم عن الحالة الاجتماعية والمادية والنفسية لتلك الشخصيات .

ووظف " أمين يوسف غراب " هذا الوصف توظيفاً جمالياً في خدمة محور الرواية، وفي إضفاء الظلال على مسار القصة .

وهذا الوصف أيضاً لدقته جعل المكان بطلاً، فالمكان هنا تغلغل في أعماق الشخصيات، وهم يتحركون من خلاله، وفوق أرضه، فيحتدم الصراع البشري .

فالروايات عند " أمين يوسف غراب " روايات اجتماعية حيث تكثر من تصوير الأماكن بشوارعها وبيوتها وغرفها، وهذا الوصف يعطي القارئ إحساساً قوياً بالمكان من خلال وصفه للشوارع والغرف ومحتوياتها .

لذلك يعد المكان من العناصر الهامة في الرواية، حيث يعطي وجوده للقارئ إيهاماً بالواقع الحقيقي، وبذلك تتجسد الأفكار والمشاعر في صور حسية ملموسة كما يمثل المكان الخلفية التي تقع فيها أحداث روايات " أمين يوسف غراب " .

المبحث الرابع

وصف الشخصية

الشخصية هي العمود الفقري للرواية، وهي حجر الزاوية في الرواية، وهي موضع اهتمام المبدع والناقد والمتلقي لأنها مناط الحدث وتطوره عبر الشخصية .

والشخصية من صنع الكاتب، وأحياناً تكون واقعية تعيش معنا في الواقع، ولما كانت الشخصية موضع اهتمام المبدع اهتم بها الكاتب " أمين يوسف غراب"، وأخذ في تحليلها ووصفها خارجياً وداخلياً ذلك لأن الوصف يعمل على إظهار ملامح الشخصية خارجياً وداخلياً وكذلك يصف سلوكها .

والكاتب " أمين يوسف غراب " في رواياته يثبت أنه يتعامل مع شخوصه تعاملاً مميزاً من خلال الوصف المادي الذي يسهم في تجسيد المحور النفسي للشخصية، فاستطاع الكاتب أن يرصد لنا المشاعر والأحاسيس للشخصية، فبرع في وصفه للشخصيات في رواياته وهذا يبدو واضحاً جلياً حينما يحول شخوصه إلى كائنات حية تتحرك على أرض الواقع .

ففي رواية (ست البنات) يثبت " أمين يوسف غراب " أن الكاتب يتعامل مع شخوصه تعاملاً مميزاً، وذلك من خلال وصفه للشخصية الذي يسهم بدور كبير في تجسيد المحور النفسي " لدردير أفندي " الذي يعمل عند " خيري " المحامي وكيلاً، حيث يصف الكاتب وكيل المحامي وصفاً خارجياً ينم عن صراعه الداخلي، يصفه وصفاً كاريكاتيرياً يثير الضحك في نفوس البشرية .

" وليس في الغرفة من شيء قبيح المنظر سوى " دردير أفندي " الجالس إلى مكتبه الفخم، برأسه الكبير وكرشه المنتفخ وجبهته العريضة التي غرقت في طربوشه الذي أحاله العرق إلى لونين أسود ممعن في السواد، وأحمر يميل إلى الصفرة، وقميصه الممزق من تحت الإبط . والذي لا يختلف لونه الذي كان فيما مضى ناصع البياض إلى أسود باهت بلون رباط رقبته الذي تآكلت أطرافه . وقد جلس حاملاً هذا الرأس الكبير على يده الهزيلة التي تكاد ترتعش . وكلما خلجت عينه اهتزت معها نظارته ذات الأسلاك النحاسية الصدأة التي قعدت على أرنبة أنفه كما تقعد البومة على فرع شجرة جافة [1] .

---

(١) أمين يوسف غراب، رواية ست البنات، ص ١٠٠ ــ ١٠١ .

ثم يصف الكاتب وصفاً ينبئ عن عيشته القاسية، وحياة الكفاف التي يعيشها والذي يكتوي بجذوتها .

يستطيع " دردير أفندي"، أن يمكث اليوم، بل الأيام، دون أن ينشق ثغره عن شيء يتبلع به، وهو يستطيع أن يحتمل ذلك ويصبر عليه، لأن الأيام علمته كيف يحتمله ويصبر عليه. وهو أيضاً يستطيع أن يقضي اليوم، بل الأيام دون أن يتذوق طعم القهوة أو السجائر، مع أنه لا يستطيع أن يفتح عينيه في الصباح ويزاول عمله بنشاط إلا بعد أن يشرب منها كمية وافرة ويحرق عدة لفائف، وقد علمته الأيام كيف يحتمل ذلك أيضاً ويصبر عليه .

أما الشيء الذي لم تستطع الأيام أن تجعله يحتمله ويصبر عليه هو الحط من شخصيته وعدم تقدير الغير له، وعدم الاعتراف بأنه أحد جهابذة القانون. وأن المحامين الكبار الذين تتلألأ أسماؤهم في سماء القانون، قد تخرجوا جميعاً من عنده، وتمرنوا على يديه، أما الفقر والجوع وزيه الرث، وملابسه البالية، وحذاؤه الممزق، وترصده للزبون، كما يترصد الصائد القنص، لينتزع من جيبه قرشاً يشرب به فنجاناً من القهوة، أو يدخن به سيجارة، أو يبتاع به كسرة خبز جافة يتبلع بها"[1].

هكذا يسهم التقرير الوصفي في تجسيد مأساة " دردير أفندي " حيث لم ير كسرة خبز جافة فبات في حيرة من أمره، تطحنه رحى اليأس، وتمزق قلبه أسهم الفقر والعوز .

ويكمل الكاتب اللوحة الفنية يوصف " دردير أفندي " وصفاً يجسد فيه المحور النفسي لتلك الشخصية.

" ووقف " دردير أفندي " عند هذه النقطة بالذات، وفكر فيها، وفكر فيها طويلاً جداً، حتى أجهده التفكير، وأخرج منديله المحلاوي الكبير الملوث ببعض السوائل اللزجة، وبعض نقاط الحبر الأسود، وجفف به عرقه وهو يسير لاهثاً في الطريق " [2] .

(١) أمين يوسف غراب، رواية ست البنات، ص ١١٢ .

(٢) أمين يوسف غراب، ست البنات، ص ١٧١ .

والسرد الوصفي لهذه الشخصية ينم على أن الشخصية مقهورة لأنها تشعر بالضعف، والعجز عن مواجهة الواقع الإنساني، وقصور إمكانات شخصية " دردير " عن مجابهة الظروف الخارجية المحيطة بها والداخلية الخاصة بها .

وفي نظري أن القهر الذي أصاب تلك الشخصية ربما يرجع إلى العاهة العضوية للشخصية وهي دمامة الشكل مما يجعل ينابيع اليأس تتدفق في أعماق الشخصية، فأصيب "دردير" بالقهر المعنوي، فالوصف هنا يجسد لنا الأثر النفسي لهذه الشخصية حيث أصيبت بالقهر والذل والانكسار .

ثم ينهض المولونوج الداخلي ليجسد لنا حقيقة هذه الشخصية ونفورها من نفسها .

" رأى " دردير أفندي " في أحد الجوانب مرآة كبيرة فنظر إليها، وما أن رأى فيها صورته حتى ارتد خائفاً، كأنه يرى شبحاً مخيفاً، ثم لما تأكد من أن " دردير أفندي " هو الذي أمامه، راح يتأمله جيداً . ويتأمل لحيته الرثة، وطربوشه الباهت، وملابسه البالية، ووجهه المتغضن الذي تركت عليه أقدام السنون الطويلة التي مرت آثارها التي لا تنمحي . تأمل كل ذلك طويلاً، وتمعن فيه، حتى لكأنه يراه لأول مرة، ثم فجأة بصق عليه في المرآة وهو يدير وجهه، ويحاول أن يجلس متمتماً :

كان عايز يخلق إيه ... أبو جلامبو [1] .

ولم يكن " عاكف " فراش المكتب بمنأى عن الوصف عند الكاتب " أمين يوسف غراب" .

" الأستاذ " عاكف القط " واضعاً يده على خده في صمت وهو شاب في الثلاثين من عمره ضعيف البنية شاحب الوجه وأمامه الأباجورة الأنيقة مضاءة ترسل نورها الساطع على وجهه فتزيده صفرة وشحوباً . كما تريك صدره البارزة عظامه من لف قميص بال فوقه جاكتة اختلفت ألوانها أيضاً، من كثرة تعاقب الفصول عليها . وبنطلون ضيق قصير إلى منصف الساق تقريباً [2] .

هذا الوصف تشم فيه رائحة الفقر والفاقة والحرمان والجوع، ويميط اللثام، ويكشف النقاب ويجلي الحقيقة عن شقاء هذا الرجل وعذابه الشديد بسبب الفقر وواضح ذلك من حاله وملابسه .

---

(١) أمين يوسف غراب، ست البنات، ص ١١٥ .

(٢) أمين يوسف غراب، ست البنات، ص ١٠١ .

وهكذا يوظف " أمين يوسف غراب " الطريقة التحليلية في رسم شخوصه وهي طريقة ترصد المحور الخارجي، لأن المظهر ينبئ عن المخبر، لأن العلاقة بين البعد الخارجي والداخلي علاقة العلة بالمعلول .

ومن النماذج البشرية التي ساقها الكاتب في هذا العمل القصصي شخصية العربيد الذي يملك من متاع الدنيا الشيء الكثير .

والرؤية النقدية لهذه الرواية تثبت أن " أمين يوسف غراب " سيطر عليه في هذه الحقبة الزمنية نزعة إنسانية هي ظاهرة العلاقة بين الرجل والمرأة إلا أن هذه العلاقة رغم ما بها من مودة ورحمة، إلا أنها عندما تتعرض للدنس تقوض عش الزوجية، وهذا ما حدث بين " خيري " المحامي وزوجته " سمية " .

وهنا يصف الكاتب " خيري " تلك الشخصية الفاشلة التي صنعت مصيرها بنفسها ذلك الشاب الذي دأب على معاشرة النساء، والبحث عنهن في كل صوب وحدب من أجل إشباع رغباته .

" ولكني حذرتك بالعواقب، وقلت لك إنك فقيرة، وهو غني أنت بيت دين . وهو بيت دنيا. أنت طاهرة الذيل، نبيلة الخلق متدينة وتعرفين ربك . وهو عربيد، مستهتر، يعاقر الخمر. ويعاشر النساء، وينام النهار، ويسهر الليل، شأنه شأن الأثرياء الوارثين الذين تلهيهم دنياهم عن آخرتهم فلا يرعون للدين حرمة، ولا لله حقوقاً [1] .

هنا يبين السرد الوصفي الفرق بين الغث والسمين، وبين الصالح والطالح، وبين الخيّر والشرير، ويثبت الكاتب أنه متمسك بالقيم لأن " الأدب يسمو بالنفوس والعقول والأرواح،لذلك فإنه يرسي القيم والمبادئ الإسلامية الراسخة في نفوس القراء والنقاد، وكان لسان حاله يردد قول الشاعر :

(١) أمين يوسف غراب، ست البنات، ص ٧٣ .

جزى الله الشدائد كل خير .·. عرفت بها عدوي من صديقي" [1]

هكذا ظهر المعدن الأصيل من خلال الوصف " لسميحة " لأنها لم تتمرد على مبادئها ولم تلهث وراء الرجال كما فعل هو مع النساء، لأنها نموذج متفرد للأخلاق والوفاء والإخلاص ٠

" فقالت " سميحة " وهي تنظر إليه بعينين زائغتين مضطربتين :

ـــ اتفضل ٠

فقال الأب مستطرداً :

ـــ وقلت لك إن مثل هذا الزوج، لا يصح لأن يكون رب بيت كريم، ولا يمكن أن تقوم على أكتافه أسرة صالحة [2] ٠

هكذا يوضح الكاتب هوية النفس البشرية، فهي مزيج بين الفجور والتقوى، ويجسد الصراع الدائم ما بين الخير والشر ٠

استعان الكاتب بالتقارير الوصفية ليغوص في مشاعر شخوصه ويرصد تراكماتها الشعورية ويترجم مشاعرهم الدفينة، وبالتالي يركز الكاتب هنا على المحور النفسي ٠

" وتناولت كتاباً كانت تقرأ فيه من قبل، وظلت زمناً طويلاً يكاد يبلغ الساعات مستغرقة في القراءة وقد لذ لها ذلك، وكاد يطربها، إلا أنها لاحظت مصادفة وهي تقرأ بأن الصفحة التي تقرأ فيها هي هي لم تتغير منذ أن فتحت الكتاب . فضايقها هذا ضيقاً شديداً وألقت بالكتاب في غضب، وطوحت به بعيداً في عنف، ثم هي في نفس الضيق والعنف أرادت أن تعمل شيئاً آخر، أي شيء٠٠ تنام٠٠ تستيقظ٠٠ تفتح عينيها٠٠تغمضهما٠٠ تطفئ النور٠٠ تضيئه٠٠ تلقي بجسدها إلقاء على الفراش٠٠ وتبسط ذراعيها ٠٠ وتبسط أيضاً ساقيها٠٠ تنظر إلى سقف الحجرة٠٠ تقرأ فيه القصة٠٠ تنهض قاعدة ٠٠ وتجلس القرفصاء وتدفن وجهها بين ركبتيها وتبكي " [3] ٠

---

(١) محمود دياب محمود، دراسات في الفن القصصي، بدون، ص ١٧٦ ٠

(٢) أمين يوسف غراب، ست البنات، ص ٧٣ ٠

(٣) أمين يوسف غراب،ست البنات، ص ٩١ ٠

والحقيقة أجاد الكاتب في تجسيد واقع الفتاة بعد انهيار زوجها بسبب عشقه للنساء وارتكاب الرذيلة وهذا جعلها في صراع مع نفسها، وبذلك حلل الكاتب مشاعر الشخصية وأحاسيسها في مواجهة المواقف، ويسترسل الوصف مجسداً المحور الداخلي لهذه الفتاة التي تتأجج داخلها جذوة الغيرة المستعرة، فتكون في حيرة، فلا تدري ماذا تعمل .

ورغم وصفه " لسميحة " وكشف ملامحها الداخلية لم ينس أن يذكر ملامحها الخارجية .

" وفتحت " سميحة " الباب، ودخلت، وكان منظرها في ملابس الخادمة، المريلة البيضاء، والمهفة في يدها، واللبانة التي بين شدقيها، والابتسامة التي أضفت على وجهها نوراً وبهاء وفتنة، كان منظرها في كل ذلك فاتناً إلى حد الإثارة، مما جعل " دردير أفندي " يضطرب ويتلعثم ويتبلع أنفاسه [1] .

" وفي غبطة زائدة دون أن يشغله شاغل اللهم إلا تعلق عينه من حين لآخر، بظهر " سميحة " وخصرها وردفيها، وهي خارجة لتعد له القهوة، أو بصدرها وذلك الشيء الذي تضغطه المريلة على الصدر في حنان رقيق وهي مقبلة عليه بصينية القهوة " [2] .

ونلاحظ خلال المقاطع الوصفية التي وصف فيها الكاتب " سميحة " بأنه رسم لوحة فنية بارعة تفوح بالحياء الشديد، والطهر والعفة والخلق، والنفس الصافية، وعظم المظهر والمخبر، وهنا يعقد مقارنة بين الزوجة الوفية وبين الزوج العربيد .

وهذا الوصف يبين صور متضادة غير متجانسة للأسرة، حيث الزوجة الوفية، والزوج العربيد الذي يشبه الذبابة تنتقل من قذارة إلى قذارة، وذلك في الحرام، رغم أن الزوجة تملك قسطاً من الجمال الأخاذ والحسن البارع، وهنا يلعب المحور الاقتصادي دوره، من كثرة ما معه من مال يغري النساء ناهيك عن وجاهته وملابسه الأنيقة، وكذلك مكتبه الذي يجذب النساء بمحتوياته الفخمة .

---

(١) أمين يوسف غراب، ست البنات، ص ١١٧ .

(٢) أمين يوسف غراب، ست البنات، ص ١٢٦ .

هكذا لم يفعل " أمين يوسف غراب " وصف الشخصية الإسلامية في نسيجه الروائي كنوع من شاطئ الأمن والأمان، وهو القدوة الحسنة .

" الشيخ إبراهيم الإبياري " والد " سميحة " شيخ معمم في الخمسين من عمره، قضى حياته جميعها في الأزهر الشريف، وتخرج منه، وبقي فيه مدرساً للغة العربية التي يحبها ويقدسها، ولا يتكلم إلا بها، وهو فوق ذلك متدين إلى حد التزمت " [1] .

ولم تكن الخادمة بمنأى عن الوصف حيث مارس " أمين يوسف غراب " هوايته، ووصف الخادمة وصفاً توظيفياً، حيث ساعد هذا الوصف " سميحة " على تنفيذ خطتها، وهي إبلاغ أولياء أمور الساقطات اللاتي بينهن وبين " خيري " علاقة .

"وكانت الخادمة الطويلة اللسان، الطويلة العين، والذكاء والفهم"[2] .

والجدير بالذكر " أن الشك مرض من الأمراض الخطيرة في عش الزوجية، حيث يقضي على الأخضر واليابس من أمن وأمان الأسرة، فيتحول الرؤى إلى سوداء قاتمة، ويجعل البون شاسعاً بين أفراد الأسرة وبين السكن والمودة والرحمة " [3] .

وهذا الشك هو الذي دمر عش الزوجية بين " خيري " و" سميحة "، فبدأت تراقبه ووصلت إلى أنها ستبلغ كل ولي أمر فتاة أقام معها " خيري " علاقة .

" فسميحة " لم تملك سوى الإيمان بالله والاستسلام لكل ما يفرض عليها من وسائل العلاج سواء من الخادمة أو من " دردير أفندي " وهكذا تتحول التقارير الوصفية إلى لوحة معبرة، استولت عليها ظلال الحزن الذي يغري في كيد تلك المرأة من الغيظ والغيرة .

وفي رواية (شباب امرأة) التي تطرح قضية مهمة في المجتمع تلك القضية هي التكافؤ بين الرجل والمرأة، ويجب أن يتحقق هذا التكافؤ في صوره المتعددة مثل المستوى الثقافي والفكري

---

(1) أمين يوسف غراب، ست البنات، ص ٦٦ .

(2) أمين يوسف غراب، ست البنات، ص ٣٧ .

(3) أمين يوسف غراب، ست البنات، ص ٨٤ .

والعمري، وإلا حدث خلل في معمار الأسرة، وهذا ما حدث لأن " إمام " شاب صغير السن " وشفعات" أرملة أكبر منه، وليس بينهما تكافؤ، وأرى " أمين يوسف غراب " قد جسد الملامح الخارجية للشاب إمام .

" تغيرت نظرته لكل شيء حتى نحو نفسه، فكلمة الصبي أصبحت في خبر كان، وحلت محلها كلمة " الشيخ " الشيخ " إمام " ذهب والشيخ " إمام " جاء، وساعده على ذلك بسطة في الجسم وهبها الله له، حتى إنه سبق سنه بسنوات، وغدا فارع الطول، عريض المنكبين، قوي البنية، ضخماً عملاقاً، كما وهبه الله أيضاً جمالاً في الوجه، وصفاء في العين، حتى خافت عليه أمه، وراحت تحمله ما لا يطيق من الأحجبة والتعاويذ التي تقيه شر العين [1] .

ومن أجل هذا الوصف لذلك الشاب فتنت به " شفعات " ولم تقه تعويذة أمه ولم تحجب " إمام " عن جمال " شفعات " .

ولقد جاء " إمام " من أعماق الريف المصري شاب ساذج جاهل مسطح الفكر مهشم الثقافة بالقاهرة وما فيها هذا الشاب الفلاح الذي كان يضع شرفه في معبد التقديس كما يضع الكرامة تاجاً فوق رأسه، جاء ليتعلم وكان عبارة عن صخرة تتحطم عليها هجمات الحسناوات، ولكن الرياح تأتي بما لا تشتهي السفن، فقد جاءت " شفعات " فبهره جمالها وحسنها الأخاذ فهام بها شوقاً وتعانق مع الشيطان وترك الوصف السردي بين جمال تلك المرأة وملامحها الخارجية .

"هذه الغرفة تقطن فيها المعلمة " شفعات " صاحبة البيت والسيرجة، وهي امرأة في منتصف العقد الرابع، ذات جمال أخاذ تبهر العين طلعته، وقوام سمهري ممشوق عرفت كيف تغذيه وتتعهده، فغدا كالفرع الميادّ الذي يتهادى مع النسيم، ووجه يفيض بالبشر، يعلوه جبين وضاح يشبه فلق الصبح، تزينه دائماً قصة من الشعر الفاحم يتوسطها فرق صغير انطبع على الجبين كالهلال الوليد، وفوق هذا كله منديلها المطرز بالترتر وخرج النجف، وزهور القرنفل البيضاء، انعقد حول رأسها، وتدلت أطرافه بين المقصوص الطويل المنساب حول الأذن التي يزينها قرط

(١) أمين يوسف غراب، شباب امرأة، ص ٤٠ .

ذهبي كبير على هيئة نصف دائرة، يروح ويجيء على الكتف المرمرية البيضاء، التي حجبتها ملاءة سوداء رقيقة من الحرير الخفيف الرقيق الملمس عرفت كيف تحكمها في مهارة فائقة حول جسدها، وتضغط نسجها الرقيق على قوامها الفارع وقدها الممشوق، بحيث فصلته تفصيلاً وأبرزت محاسنه وجعلت كنوزه تتوهج نوراً في عينيك، تماماً كما تتوهج كنوز الماس والجواهر في قلب فترينة من زجاج " [1] .

وترى هذا الوصف عبارة عن لوحة فنية بارعة جسد فيها جمال تلك المرأة، الذي انبرى السرد الوصفي لتجسيد ملامحها تجسيداً دقيقاً يكشف عن أغوارها الحسية ويجلي الحقيقة عن جمالها البارع، وهذا شيء يحمد عليه الكاتب في دقة التصوير والوصف لتلك الأرملة التي تعثرت في أوصال الترمل .

وقد انبرى السرد الوصفي مستعيناً الكاتب بالطريقة (السيكولوجية) في رسم الشخوص حين يستنبط النفس البشرية التي تمزج بالحيرة والقلق وتنصهر في الصراع النفسي .

" وذهب الشاب إلى القاهرة الواسعة التي بهرته طلعتها، وأقلقته الحياة فيها، فراح يهيم على وجهه في الطرقات طول النهار وأغلب الليل ليقطع الأزقة، ويجوس خلال الدروب، والحارات لعله يظفر بغرفة متواضعة بأجر زهيد يمكنه سداده . . .

كان التفكير في هذا يرهقه إرهاقاً ويسبب له قلقاً إذا أمسى، ويسبب له قلقاً إذا أصبح . . واضطر مرغماً كل يوم أن يدفع خمسة القروش أجر نومه في لوكاندة المدينة المنورة الكائنة خلف مسجد سيدنا الحسين، أما ما عدا ذلك كله فهو عنده ميسور وميسر . . فالطعام قد دبر الله له أمره . . إذ صنعت له أمه " قفة " كبيرة ملأتها " بالمرحرح " وهو خبز من الحلبة والشعير وبعض الذرة . . علّم الفقر أهل الريف كيف يصنعونه بطريقة فنية ماهرة تجعله يعمر طويلاً بدون أن يلحق به عطب فيتغير طعمه " [2] .

---

(١) أمين يوسف غراب، شباب امرأة، ص ٥٠ .

(٢) أمين يوسف غراب، شباب امرأة، ص ٤٥، ٤٦ .

فهنا جسد هذا الوصف المحور النفسي للشاب " إمام " .

وفي وصف آخر " لشفعات " يبين المحور النفسي لتلك الشخصية، ويجسد ملامحها الداخلية وصراعها النفسي .

" وهي امرأة عصبية المزاج جداً، شرسة الطباع إلى حد كبير، فإذا ثارت أو غضبت أو عكر صفوها، ينقلب هذا الجمال كله، وهذه الفتنة التي لا حد لها، وهذا الخفر والحياء الذي يشبه حياء العذارى وخفرهن إلى عنف وقسوة ووحشية .. مما جعل سكان الحارة والحي كله يخافونها ويخشونها ويعملون لها ألف حساب وحساب .. ولذلك فالقول ما قالت المعلمة، والأمر ما أمرت به المعلمة، وقد ساعدها هذا بعد أن مات زوجها من سنين وأشرفت هي على الثروة التي تركها لها البيت والسرجة وثلاثة دكاكين في حارة السطوحي، وحوش في درب السعادة، ساعدها على أن تدير هذا كله بنفسها بدون أن تفكر في الزواج " [1] .

ويبلغ الوصف الذروة عندما يتعمق الكاتب الشخصية وذلك عندما يصف حالة " شفعات" .

" وشعرت بشيء كثير من الضيق يلم بها، وازداد هذا الضيق عنفاً عندما جاء الليل ولم يجي هذا الشاب معه إلى غرفته كما تعود أن يجيء، وراحت في قلب فراشها الدافئ الوثير، تتقلب ذات اليمين وذات الشمال، تدفن رأسها في الوسادة حيناً، ثم تريحها عليها حيناً آخر، وتلقي بالغطاء من على جسدها مرة حتى يتعرى جسدها تماماً، ثم هي مرة أخرى تشد الغطاء عليها، وتلف جسدها فيه كأنها تخاف من شيء يتربص بها، وكلما سمعت حركة خارج غرفتها، أو أحست بدبيب في الدهليز، شعرت بشيء من الراحة، وفتحت عينيها ومدت أذنيها مداً طويلاً في الظلام، وكلما أدركت أنه دبيب "بهلول" في السيرجة أو خطوات الأستاذ "حسبو" يدخل غرفته أو يخرج منها، عاودها الضيق، ورفست الغطاء بقدمها في عنف، ثم عادت ثانية وفي العنف نفسه وسحبته عليها ولفت جسدها فيه ثانية، وفجأة تذكرت شيئاً أطربها وهدأ من أعصابها، وجعل الابتسامة الجميلة ترسم على شفتيها الغليظتين، إنه لم يأت حتى الآن لأنه تعود أن يصلي العشاء في المسجد، وإذن فهو سيأتي تواً وبعد صلاة العشاء مباشرة " [2] .

---

(١) أمين يوسف غراب، شباب امرأة، ص ٥٠، ٦١ .

(٢) أمين يوسف غراب، شباب امرأة، ص ٩٨

وخلال هذا الوصف نرى الكاتب تعمق في تلك الشخصية فوصف ملامحها الداخلية وبين الحيرة التي انتابتها، وبدت بين الوصف تضاريس الشخصية، ووضح تعبيراتها الحسية، وإحساساتها الداخلية وذلك معتمداً على المحور النفسي .

هكذا استطاع السرد الوصفي أن يضع المرأة والشاب أي " شفعات " و " إمام " في دائرة التوتر النفسي، فانصهرا فيها وفي بوتقة القلق النفسي والكبت الجسدي والأرق العصبي .

ويلعب أيضاً الوصف في تجسيد الصراع الطبقي دوره في هذه الرواية، حيث تنتمي المرأة إلى الطبقة الأرستقراطية، وهذا الشاب ينتمي إلى الطبقة البرجوازية، وهناك فرق بينهما، فالأولى تملك المال والجاه والسلطان، والثانية لا تملك المال وتنحت في الصخر من أجل لقمة العيش، والفقر هذا هو الذي جعله يذهب إلى بيت " شفعات " لأن الحجرة بأجرة زهيدة يستطيع سدادها .

وهكذا انبرى الوصف لتجسيد ملامح هذه الأرملة وهي تتخلص من اللبس الذي تلبسه واتخذت زينتها كاملة استعداداً لإغراء " إمام " من أجل إشباع رغباتها المتوهجة في نفسها .

"وتغيرت غير ذلك أشياء أخرى هامة منها أو لعل أهمها وجه المعلمة " شفعات " نفسه، فقد غدا وجهاً جديداً تكاد لا تربطه صلة بالوجه القديم، فقد ذهبت تلك الغبرة وذلك العبوس الذي كان يكتنفه دائماً، وغلبت تلك الخطوط السوداء وتلك التجاعيد والأخاديد التي كانت قد بدأت ترتسم معالمها على الوجه، كما زالت أيضاً تلك الدائرة الزرقاء التي كانت تتراءى حول العين حتى لتكاد تلتف بها، وغدا الوجه في مجموعه مشرقاً فتاناً يقطر شباباً وبهاءً ونوراً، تزينه عينان جميلتان تشعان نوراً يشبه الابتسام، أو ابتساماً يشبه النور، ويتوسطه فم لا ينى يضحك دائماً، يضحك لنفسه، ويضحك للناس، ويضحك أيضاً للنهار إذا أدبر، ويضحك ويغرق في الضحك ليل إذا أقبل، ولا تني أيضاً شفتاه الغليظان الحمراوان تتلمظان وتبتسمان حتى في النوم، كما غدا الشعر الطويل الناعم الذي كانت تتهدل خصلاته حيثما اتفق، مرة على الظهر، أو على الصدر، وأخرى بين النهدين، والذي كان لا يعرف الغسل إلا من الحين إلى الحين ــ غدا فاحماً ناعماً تطرحه دائماً على الكتفين العاريتين، كما تنطرح الرقعة السوداء الناعمة على العاج، وغدا الجبين تزينه القصة الملتفة به كما يلتف الغمام حول الفجر ليزيد من بهائه ويزيد هو من ظلمته، وتتمايل عليه ــ أي على الجبين ــ كله حبات القرنفل وخرز النجف والبلابل السبع التي انسابت على عقدة المنديل

أبو أويه وتدلت مع أطرافه ومع الخصلة شعر واحدة على يمين الأذن، فيحدث صوت البلابل السبع مختلطة بصوت القبقاب المطعم بالصدف " [1] .

هذا الوصف يجسد لنا المحور النفسي لهذه المرأة الشابة " شفعات " التي تتحرق ريا إلى الجنس، والتي تتأجج داخلها جذوة الجنس المستعرة، وبين الوصف كيف استطاعت " شفعات " أن تنسج خيوط العنكبوت من أجل إيقاع هذا الشاب في براثنها .

وهذا المقطع الوصفي يبين أن " شفعات " وجدت ضالتها في هذا الشاب القوي البنية المفتول العضلات، لتشبع رغباتها، حيث وجدت سعادتها المفقودة بين أحضان هذا الشاب اليافع الذي لم يسبق له الزواج، ويميط الوصف اللثام ويكشف ملامح " شفعات " الأرستقراطية .

وهكذا صوبت المرأة شباكها نحو هذا الشاب ليكون صيدها الثمين لأنها تعشق فيه عضلاته المفتولة، وتهيم بقوته، فعاملته معاملة لطيفة مغايرة تماماً وذلك لتجذبه إليها .

" فلم تعد المعلمة كما كانت من قبل ثائرة عليه دائماً، غاضبة عليه أبداً، تغلظ له في القول كلما رأته، وتعنفه تعنيفاً مراً كلما التقت به، وتتطاول عليه باللسان وباليدين بين الحين والحين، بل أخذت تلاطفه، وتداعبه أحياناً، بل تتندر معه في بعض الأحايين، ولم تعد تحاسبه ذلك الحساب العسير إذا ما أخطأ في شيء أو أهمل في خدمة " بهلول "، أو أساء التصرف في أمر من أمور السيرجة بل أعطته الكثير من الحرية، وأعطته أيضاً مطلق التصرف في شئون السيرجة جميعها " [2].

ونظراً لأن هذا الشاب لم يكن له سابقة تجارب بالفساد الأخلاقي، لذلك أصبحت تلك السيدة لغزاً بالنسبة له، ولكنه كشف سره، وفك طلاسمه عندما رجع من رحلته الشيطانية مع تلك المرأة وهو لا يصدق نفسه بما فعل من الرذيلة، حين انصهر في بوتقة جمال المرأة التي استطاعت أن توقع " إمام " في براثن حبها .

---

(١) أمين يوسف غراب، شباب امرأة، ص ١٥٤ ــ ١٥٥ .

(٢) أمين يوسف غراب، شباب امرأة، ص ١٥٦ .

" وظلا يسبحان في نوم عميق، حتى أطل عليهما من النافذة شيء أبيض، أما هو فقد تبين فيه وجه الصبح، وأما هي فلم تتبين شيئاً، لأنها كانت لا تزال منسحقة تئن من فرط ما وهبت طوال الليل .

وفتح الشباب عينيه مرةٍ أخرى، وراح يتلفت حوله بعيون أن يصدق شيئاً مما يرى .. وفتح عينيه مرة ثالثة وراح يلتفت حواليه .. حقيقة أنه نهار .. وحقيقة أنها شمس .. وحقيقة أيضاً .. أن هذه بقايا طعام .. وهذه بقايا خمر .. وهذه أيضاً .. ملابس نسائية ملقاة ذات اليمين .. وذات الشمال .. وحقيقة أيضاً أن هذه .. غرفة .. وهذا سرير .. وهذه .. امرأة .

وهب الشاب مذعوراً كمن لدغته أفعى، وارتدى ثيابه في عجلة لا حد لها [1] .

واستطاعت " شفعات " أن تغير أوصاف " إمام " وتركه للمبادئ والتقاليد وخلع جلده، فأصبح شاباً غير الذي جاء من القرية الفلاح الساذج، ويمارس " أمين يوسف غراب" هوايته المفضلة في الوصف، فيصف " إمام" مبيناً التغيير الذي حدث له في المظهر والمخبر .

" وتغير كذلك الشاب، فلم يعد أبداً " إمام بلتاجي حسنين " كما كان من قبل، أو الشيخ " إمام " المجاور في الأزهر، وإنما غدا شاباً وسيماً، وأفندياً أنيقاً للغاية، يرتدي البدلة الفخمة ذات اللون الجميل، والأزرار الستة المصفوفة على الجانبين، والطربوش الأحمر الفاقع بدل العمامة والكاكولة، كما راح المنديل الأحمر ورباط الرقبة الذي من لونه يزينان صدره ويتألقان نوراً على الصدر، حتى شعر رأسه الخشن الكث الذي كان لا يعرف الحلاق إلا نادراً غدا ناعماً لامعا مصففاً تنبعث منه رائحة عطر القسيس الزكية التي تشمها على بعد أمتار " [2] .

هذا المقطع الوصفي يبين ما حدث " لإمام " من تغيير حيث خلع ثوبه الريفي الذي كان منسوجاً بالمبادئ والأخلاق والقيم والإيمان، واستطاعت " شفعات " أن تبدل الثوب الريفي

---

(١) أمين يوسف غراب، شباب امرأة، ص ٢١٩ .

(٢) أمين يوسف غراب، شباب امرأة، ص ١٥٤ .

الطيب إلى ثوب تمرد على المبادئ والأخلاق استطاعت بأموالها وجمالها أن توقع هذا الشاب صاحب العضلات المفتولة والجسم القوي، فوجدت فيه دواءً لجروحها، وماءً يروي ظمأها ويشبع غريزتها .

هذا الوصف كشف عن أغوار شخصية " إمام " وصراعها بين ماضيها وحاضرها، وتجعله يشرف على السيرجة، واستطاعت " شفعات " أن تملكه وتتزوجه في المساء، ومشرفاً على السيرجة في النهار، واستطاعت أن تغيره، ولكن الرياح تأتي بما لا تشتهي السفن حيث أنكرها في النهاية .

فقال الشاب وكأن قوى الأرض تجمعت على شفتيه : أنا الذي يقول لك الحقيقة .

ـــ وما هي الحقيقة ؟ ..

ـــ إنني أبغضك .. أكرهك .. أحتقرك .. لن تري وجهي بعد اليوم .. [1] .

تركها وذهب إلى " سلوى " التي استقرت منذ زمن بعيد في القاهرة، تلك الفتاة التي كان يرغب من الزواج منها منذ صغره عندما كان يلعب معها في قريته .

ولم تكن " سلوى " بمنأى عن " أمين يوسف غراب " استعان بالطريقة التحليلية في وصف بارع جسد فيه الملامح الخارجية " لسلوى " .

" وتركها وذهب إلى مدرسة " سلوى " إنها كالعهد بها لم يتغير فيها شيء، طاهرة كالملائكة .. صافية كالنور .. رقيقة كالزهر .. حلوة كالدنيا .. مرحة كأيام الطفولة " [2] .

ولكن " شفعات " قلبت له ظهر المجن، وصبت عليه جام غضبها، وسلقته بلسانها الحاد، وعادت إلى طبيعتها الأولى حيث مزاجها الحاد، وطبعها العصبي .

" ثم أرسلت ضحكة عالية وهي تعقب ثائرة : أتظن أنني إلى هذا الحد مجنونة ؟ أتظن أنني بعد أن أطعمتك وكسوتك وجعلت منك رجلاً، أدعك تفلت من يدي لتذهب إلى تلك الفتاة التي شغفتك حباً، تلك التلميذة التي تفضلها عليّ ؟ ! ..

---

(١) أمين يوسف غراب، شباب امرأة، ص ١٩٨ .

(٢) أمين يوسف غراب، شباب امرأة، ص ١٩٧ .

فقال وهو ينظر إليها في دهشة زائدة : أي فتاة ؟ وأي تلميذة ؟ ..

فمدت يدها في عصبية إلى درج من أدراج البوريه، وأخرجت أجزاء صورة ممزقة، وقالت وهي تصرخ في وجهه وتريه الصورة : صورة هذه الفاجرة التي تخطف الرجال وهي بعد لم تشب عن الطوق ..

ـــ اخرسي ..

وقبل أن يتم كانت ذراعه الثقيلة التي ارتفعت إلى أعلى قد سقطت على رأسها في ضربة موجعة أسقطتها على الأرض [1] .

ومما يدل على قدرة الأديب الفنية أنه لم يهمل أي شخصية فلم يترك شخصية " حسبو " دون أن يمارس هوايته في الوصف، لأن هذه الشخصية هي التي وضعت حداً ونهاية لروايته .

"يقطن في الغرفة الثالثة من الدهليز الذي يقع بجانب السيرجة تماماً، و" حسبو " هذا أو الأستاذ " حسبو "، كما كان يصر على أن يسمي نفسه، كهل في الستين من عمره، برغم أنه كان يصر على أنه مازال في دور الشباب المكتمل والرجولة الناضجة، وكان منظره يبعث على الغرابة والدهشة بحيث يلفت نظرك بمجرد أن تراه، وتقف عيناك عليه لا تتحولان، فهو يرتدي بدلة لا يعرف لها عمر ولا لون ولا طراز .. فهي عدة ألوان، إذ كلما تآكل جانب منها رتقه بلون جديد .. وهو يرتدي دائماً ياقة منشأة عالية من الطراز القديم ورباط رقبة، تآكلت أطرافه حتى بلغ التآكل عقدة الرقبة، وصديري من الحرير الألاجه، زي أصحاب اليسار من الزمن القديم، وقد بلى هذا الصديري أيضاً وتمزق وتآكل حتى لم يبق منه سوى أزراره الصدفية الغالية التي تدل على أصله وترمز إلى مجده القديم، ويضع على عينيه دائماً منظاراً سميكاً ذا أسلاك نحاسية صدئة قد تلوث زجاجه الأبيض وتشقق بحيث إنك لا تستطيع أن ترى من خلفه شيئاً، وهو برغم نحافته وضموره وشحوب لون وجهه الدائم الذي يشبه وجوه الأموات يتمتع بحيوية غريبة ونشاط دائم، ونفس صافية مستبشرة دائماً يضحك ولا يعبس أبداً، ويرسل الفكاهة تلو الفكاهة، والنكتة تلو النكتة، حتى ليجعلك تستلقي من الضحك " [2] .

---

(١) أمين يوسف غراب، شباب امرأة، ص ١٩٩ .

(٢) أمين يوسف غراب، شباب امرأة، ص ٥١، ونفس الوصف كرره الكاتب ص ٢٢٤ .

هذا الوصف ينم عن الفقر الذي اختلط بدم " حسبو " حتى لا يستطيع الانفكاك منه، ويجلي الوصف أيضاً عن فقره المدقع وعوزه المفجع حتى أصبح بين فكي رحى، ويكشف أيضاً الوصف عن نفس مقهورة سلبية لا تستطيع الدفاع عن نفسها ولا تحديد مصيرها .

ثم يستعين الكاتب بالطريقة السيكولوجية في رسم " حسبو " حيث يستبطن نفسه البشرية التي تنصهر في بوتقة الصراع النفسي والحيرة والخوف حيث أحب " شفعات "، ولكنه بعد أن كبر عافته تلك المرأة حتى أصبح مسخاً وخاف الرجل على " إمام " أن يكون نسخة منه فنصحه بشيء عملي محقق قائلاً له :

" فصرخ الرجل في هياج شديد : اهرب . انج بنفسك .. قبل أن تصبح " حسبو" آخر. انظر.. انظر إلى هذا المسخ الذي أمامك . هذا الجسد الهزيل، وهذا الوجه الذي شوهه الزمن .. انظر إلى هذه الثياب البالية .. هذه الخرق الممزقة .. هذا الحذاء التي اختلفت ألوانه . انظر. انظر .. أيضاً .

ومد أطرافه الخشنة إلى القميص الذي يرتديه ومزقه في عنف وهو يصرخ : انظر إلى هذا الجسد الذي مات، هذه العظام التي برزت .. أتريد أن تكون كذلك ؟ أتريد أن تصفع في الليل، ويبصق على وجهك في النهار؟ أتريد أن تبحث عن اللقمة فلا تجدها إلا تحت أرجل الدواب ؟ أتريد أن تكون خادماً " لبهلول " ؟

فصرخ الشاب صراخ من تمزق جسده السياط التي تنهال عليه .. لا .. لا أريد أن أكون كذلك .. لا أريد أن أكون كذلك .

ـــ إذن اهرب .. انج بنفسك .

ـــ وأين أذهب ؟

ـــ إلى الشارع . إلى الرصيف . تسول في الطرقات . مد يدك للسؤال . ألق بنفسك تحت عجلات الترام . كل ذلك خير من المصير الذي ينتظرك " [1] .

(١) أمين يوسف غراب، شباب امرأة، ص ١٧٨ .

ويستخدم " أمين يوسف غراب " الطريقة السيكولوجية ليبين الملامح الداخلية والصراع النفسي " لشفعات " عندما علمت بهروب " إمام " .

" قالت، وهي تنظر إليه وتزم شفتيها : قم اذهب إلى " بهلول " ..

ـــ أي " بهلول " فيهم ؟ .. " بهلول " الزوج، أم " بهلول " الحمار؟

فاحتقن الدم في وجهها على الفور، واندفعت إليه كاللبؤة، تركل بقدمها في قلبه وصدره ركلات موجعة وهي تقول في غيظ يشبه الجنون : قلت لك ألف مرة لا تذكر اسمه على لسانك .. لقد أصبح زوجي زوجي .. أفهمت ؟ [1] .

ورغم ذلك يحبها " حسبو " فقال لها :

" يا رابطة على الصدر .·. ورده في مكان حساس

فانشبت أظافرها في عنقه، فخاف وارتعد " [2] .

ولكن " حسبو " تأثر بذلك تأثراً بالغاً حتى أصيب بالحقد والضغينة، وأصبحت ميوله عدوانية فقرر الانتقام .

" فأغمض عينيه، وهو يرفع ذراعه سريعاً إلى أعلى .. وظل يرفعها .. ويرفعها .. ويرفعها ثم هوى بها فجأة إلى ذلك الرأس، فترنحت كالأفعى على الفور، وركنت إلى الحائط تتلوى خائفة أن تسقط ولكنه .. فاجأها من الخلف بضربة أخرى أسقطتها أمامه على الأرض ولما نظر إلى يده، ووجد أن الزجاجة مازالت فيها، وأنها لم تتحطم بعد، إنما الذي تحطم هو رأس الأفعى، ابتهج ضاحكاً وهو يحتضن الزجاجة وهو يضحك .. وراح يهبط على درجات السلم على مهل درجة درجة وهو يضحك، يهبط درجة ثم يضحك، ويهبط درجة ثم يضحك [3] .

ومن هنا نستطيع أن تدرك " أن جوهر الرواية رسم شخصية كاملة أو عدة شخصيات

(١) أمين يوسف غراب، شباب امرأة، ص ٢٢٦ .

(٢) أمين يوسف غراب، شباب امرأة، ص ٢٢٧ .

(٣) أمين يوسف غراب، شباب امرأة، ص ٢٢٧، ٢٨ .

كاملة من جميع جوانبها، حيث تتسع للحوادث الكثيرة حيث التشعب والاستيفاء والإحاطة بأحوال جملة الناس في مختلف المواقف والأحوال " [1] .

وهذا ما فعله " أمين يوسف غراب " في تلك الرواية حيث رسم شخصية " إمام " و " شفعات " و " حسبو " رسماً كاملاً، ووصفاً دقيقاً من جميع جوانبها، وأدى ذلك إلى كثرة أحداث تلك الرواية .

ومما يحمد " لأمين يوسف غراب " أنه رسم لوحات فنية بارعة لجميع الشخوص في هذه الأطروحة، حيث جسد لنا نبض قلوبهم ومحاورهم السيكولوجية، وأبرز الصراع النفسي الذي يضطرم في نفوس الشخصيات في تلك الرواية .

وفي قصة (سنوات الحب) التي تلعب فيها " غريزة الحب دوراً كبيراً، في تحديد مسار الشخوص على مسرح الأحداث في هذا العمل الروائي .

والأحداث في تلك الرواية ملفقة، وبالتالي سيكون الوصف ملفقاً، حيث لم يهتم الكاتب برسم الشخصية سوى عن طريق التحليل أي وصفها وصفاً خارجياً، ولم يعتن بالطريقة السيكولوجية أو الصراع النفسي للشخصية فكان وصفه خارجياً وربما يكون ملفقاً، ومن الشخصيات التي رسمها ووصف ملامحها الخارجية في لوحة فنية بارعة هي الفتاة التي جمعت بين الجمال ودماثة الخلق وهي " إلهام " .

" ونظرت الست " وديدة " إلى " إلهام "، التي كانت قد خرجت من البحر وراحت تسير على الرمال تتثنى، والماء مازال يقطر من جسدها الفارع وقوامها الممشوق وكأنه يقطر سحراً في القلوب، حتى اقتربت منهما في المايوه الذي فصل جسدها تفصيلاً، وأبرز أماكن الفتنة فيه .. ووضح معالم كنوزه التي لا يقدر على خلقها إلا الله [2] .

---

(١) عباس محمود العقاد، ألوان من القصة القصيرة في الأدب الأمريكي، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٣ ط ٢، ص ١٢، أو محمود دياب نقد الرواية، ص ١٠٨ .

(٢) أمين يوسف غراب، رواية سنوات الحب، ص ٦٩ .

ولم ينس " أمين يوسف غراب " أن يصف الشاب الذي التقت به في القطار صدفة وصفاً عابراً خارجياً دون أدنى اهتمام، وهذا الوصف لم يكن له دور في النسيج الروائي إلى حد ما .

" كان رغم سنه الصغيرة التي لم تتجاوز الخامسة والعشرين، وهدوئه المطلق حتى وهي في أشد حالات غليانه، وعينيه الساذجتين، ونظرته الخجول التي تشبه نظرة عذراء ... وكان يدرس الموسيقى العالمية التي كان يهواها ويعشقها ويعيش حياته على غذائها الروحي" [1] .

والحقيقة أن هذه المقاطع الوصفية لم يكن لها دور كبير في تطور الأحداث ولا في النسيج الروائي، ولا في بناء الرواية، أو الشخصية، والسبب راجع إلى أن أحداث تلك الرواية تشم فيها رائحة التلفيق، للوصول إلى هدفه، وتلفيق الأحداث ساعد على عدم اهتمام الكاتب بوصف الشخصيات الوصف الدقيق الذي يساعد في تطور الحدث وبناء الشخصية أو الرواية .

وفي قصة (الأبواب المغلقة) تلعب الأرملة الخائنة " زينب الشوباشي " دور الشخصية الرئيسة في هذه القصة حيث جسدت واقعة الخيانة في المدينة " القاهرة " تلك المرأة التي جاءت من أعماق الريف المصري والتي تنتمي إلى الطبقة الأرستقراطية في المجتمع المصري حيث تملك أرضاً جعل ناظر الزراعة يطمع فيها، ناهيك عن جمالها البارع وحسنها الأخاذ، فيصوب ناظر الزراعة نحوها شباكه ويقيم معها علاقة غير شرعية .

وتؤدي المقدمات إلى النتائج فتحمل سفاحاً، فتقذف بالطفلة على قارعة الطريق بعد الوضع، وتلتقطها إحدى السيدات وهي تراقبها عن كثب .

" كانت هذه الأرض التي تملكها هذه السيدة .. وتزيد مساحتها على الخمسين فداناً .. تقع بين فكي تفتيشنا الكبير .. كانت أشبه ما تكون باللسان .. وأرض هذا التفتيش الواسعة هي فكاه .. وكانت هذه السيدة قد مات عنها زوجها وهي في العشرين من عمرها .. فترملت عليه برغم هذه السن .. وبرغم جمالها الذي كان يضرب به المثل بين النساء والرجال معاً .. فقد كانت جميلة جمالاً ليس من سبيل لوصفه .. كما كانت أيضاً طيبة العنصر .. دمثة الخلق

(١) أمين يوسف غراب، رواية سنوات الحب، ص ١١ .

.. متدينة إلى حد كبير .. وقد قنعت من الغنيمة بالإياب .. فلم تشأ أن تتزوج ثانية .. ولم تفكر في ذلك " [1] .

هذا الوصف الذي يبين الملامح الخارجية لتلك المرأة، والذي يترجم عن واقعة الخيانة، والذي يبرهن على أن مال المرأة وجمالها كانا وبالاً عليها ونقمة لا نعمة سوغ لها الانحراف وزين لها الشيطان السقوط، فأضحت نظرة ناظر الزراعة إليها عصا سحرية .

وهنا يرصد التضاريس النفسية لتلك المرأة الحسناء التي شعرت بعقدة الذنب عما اقترفته من مقدمات للموافقة الجنسية، مبيناً المبررات التي أدت إلى ذلك، وهنا يستخدم " أمين يوسف غراب " الطريقة السيكولوجية .

ـــ كانت تقول بأنها وحيدة . لا أخ ولا زوج . ولا ابن أو ابنة [2] .

وألقت الطفلة على قارعة الطريق فالتقطتها إحدى السيدات وهي تراقبها عن كثب، ولكن هذه المرأة دفعت بالطفلة بعد سن السابعة إلى قارعة الطريق لأنها تزوجت .

ولم تك تلك المرأة بمنأى عن الوصف ورسم ملامحها من الوصاف البارع " أمين يوسف غراب " .

" لما مثلت أمام وكيل النيابة .. فوجد أنها عجوز ذات سحنة نحاسية صدئة .. وجه مُتَغَضِّن ترسم فوقه عدة تجاعيد سوداء .. تنم عن الشر كما تنم نظراتها الصفراء الشاحبة التي تبعثها عينها الضيقة عن الغلظة والقسوة والأنانية .. وتبين لي أنها لما تزوجت ألقت بالطفلة في قارعة الطريق، لأن زوجها لم يرض أن يعيش معها " [3] .

والكاتب يبين ويرسم ملامح ريفية أصيلة قديمة ربما تكون سائدة ومتمسكة بالتقاليد والمبادئ والأخلاق، ويبين أنها عجوز بلغت من الكبر عتيا، ولكنها تزوجت لأن من طبيعة الريف ألا تمكث المرأة بدون رجل خوفاً من أحاديث الناس .

ثم يبين الكاتب مصير الطفلة التي لا ذنب لها اقترفته، إلا أن الذنب ذنب الأم، التحقت

---

(١) أمين يوسف غراب، رواية الأبواب المغلقة، ص ٢٣٨ .

(٢) أمين يوسف غراب، رواية الأبواب المغلقة، ص ٢٤ .

(٣) أمين يوسف غراب، رواية الأبواب المغلقة، ص ٤١ .

الطفلة بخدمة عالمة من عوالم شارع محمد علي وعلمتها الرقص في الملاهي .

ومما يحمد " لأمين يوسف غراب " أنه وصاف بارع في وصفه يجيد تحويل الكلمة إلى فرشاة ترسم لوحة فنية بارعة .

" تمشت في وجهها خيوط من إشراف، وغدا تماماً تطلق الفجر عندما يتنفس نوره في الكون " [1] .

" ويصف أيضاً تلك الفتاة وصفاً دقيقاً يندي له جبين الأخلاق والآداب الاجتماعية " [2].

" وخرجت على إثره " زينات " تكاد تكون عارية تماماً إلا من بعض قطاعات محددة من جسمها .. تدلى بعضها الآخر وتناثر فوق الوركين ومؤخرة الأرداف " [3] .

ويستخدم الكاتب الطريقة التحليلية أيضاً لوصف " زينات " الراقصة، فيصفها وصفاً ينم عن حالتها النفسية، وبذلك يكون " أمين يوسف غراب " مزج بين الطريقة السيكولوجية والتحليلية .

" استدعيت الفتاة من السجن، ولما مثلت أمامي، وجدت أوصافها فعلاً، كما ذكر البواب في أول التحقيق .. شعر أسود داكن .. وعيون زرقاء.. واسعة.. وقوام فارع طويل.. وبشرة كلون العاج الذي لفحته شمس الشرق، فأحالته إلى ما يشبه لون سنابل القمح، غير أن هذا الجمال الرائع، وهذه الفتنة التي لا نظير لها كان يلفها خمار أسود رقيق من الحزن، بحيث جعل هذا الوجه الجميل الرائع أشبه تماماً بالمصباح المنطفئ، والعيون الزرق الواسعة يبدو لك بياضها وهو يلتمع خلف الأهداب الطويلة المنسدلة عليها كما تلمع مترنحة مثل ذبالة السراج الذي نضب زيته[4] .

هذا الوصف بين أن تلك الفتاة التي تملك قسطاً من الجمال البارع والحسن الأخاذ مقهورة ومغلوبة على أمرها، وهي ضحية فعله خارجة عن إرادتها، وهي فعلة الأم وكذلك القدر .

---

(١) أمين يوسف غراب، رواية الأبواب المغلقة، ص ٢١ .

(٢) أمين يوسف غراب، رواية الأبواب المغلقة، ص ٢٦ .

(٣) أمين يوسف غراب، رواية الأبواب المغلقة، ص ١٩٢ .

(٤) أمين يوسف غراب، رواية الأبواب المغلقة، ص ١٩ .

" ولاحظت أنها في حالة إعياء شديد بحيث لا تكاد تقوى على الوقوف، فأذنت لها بالجلوس فتهاوت على المقعد حتى كادت تسقط من عليه . فسألتها : هل هي مريضة .. فعرفت أنها جائعة .. وأن لها ثلاثة أيام لم تتناول طعاماً، لأنه ليس لها أحد يسأل عنها أو يعني بها وحتى الذين كانت تعمل عندهم في الملهى، تنكروا لها بمجرد القبض عليها [1] .

ويبين هذا الوصف أن الفقر والعوز لعبا دوراً كبيراً في إصابتها بالقهر وجعلاها تعمل راقصة في ملهى ليلي وطردها، وحاولت جاهدة لتستر سوءتها ولكن الأبواب غلقت في وجهها، والسبل صدت أمامها، فتخلى عنها الصديق والرفيق فأصبحت في مهب الريح .

هذا الوصف أيضاً تعمق في المحور النفسي للشخصية حيث جسد الخوف والهلع والذعر الذي أصاب الفتاة، وهنا تآزرت الأبعاد الثلاثة الجسمي، والنفسي، والاجتماعي، والوصف كشفها ووضحها مع مدى تفاعل الشخصية مع البيئة التي تنتمي إليها وبذلك نجح "أمين يوسف غراب" إلى حد ما في تجسيد الملامح الداخلية والخارجية لتلك الفتاة التي تتربع على عرش الجمال، وعاشت منبوذة من المجتمع بسبب جريمة ارتكبتها أمها، فعاشت لقيطة لا تعرف لها أباً ولا أماً إلا في نهاية الرواية ونهاية الأحداث، علمت أن الأم " زينب الشوباشي "، والأب هو أبو وكيل النيابة، ووكيل النيابة أخوها الذي كان يحقق معها، وأن القاتل والدها واعترف الوالد بأن كانت له علاقة " بزينب الشوباشي " .

قال أبي وهو يرجوني أن أصغي إليه جيداً .. وهل كنت أملك غير أن أصغي إليه جيداً :

" تعرفت على المخفي عليها منذ ثلاثين عاماً أو يزيد .. وكنت إذ ذاك لا أزال في ريعان الشباب .. وكنت فقيراً معدماً لا أملك سوى راتبي الذي كان في ذلك الحين لا يتجاوز الخمسة جنيهات وكانت هي كل أجري الذي أتقاضاه عن عملي كناظر للزراعة في أحد تفاتيش جدك لأمك هذه .. وكان هذا لا يرضي طموحي وأطماعي التي كانت عريضة واسعة لا يعرف لها حدود .. وكان هذا يقض مضجعي ويؤرق عيني في الليل وفي النهار أيضاً .. ولذلك كانت

(١) أمين يوسف غراب، رواية الأبواب المغلقة، ص ٢٠ .

عيوني دائماً مشبوكة بآفاق عليا .. آفاق مليئة بكل شهوات النفس التي كنت أحلم بها .. من مجد وجاه ومال وثراء .. [1] .

فالعامل الاقتصادي هنا لعب دوراً هاماً، وجعل الفلاح الساذج طموحه ورغبته في تلك المرأة، التي يظن أنها بالنسبة له بلسمٌ يداوي جراحه من الفقر، وقد رضي طموحه وانتشلته من الفقر، والتقى بها في علاقة غير شرعية، فنتج عنها أنها حملت سفاحاً، فقرر قتلها خوفاً من ظهور الابنة في فلك الأب دون أن يدري أنها وضعت أم لا .

" لذلك لم أجد بداً أن أفعل ما فعلت .. من أن ارتكب جريمتي، أن أقتلها .. من أن سفك هذه الدماء على الرغم مني .. " [2] .

وخلاصة القول في هذا المقام أن " أمين يوسف غراب " قد أثبت أن " رسم الشخصيات مهمة ليست سهلة، فالدوافع التي خلف السلوك الإنساني معقدة في الحقيقة ؛ بحيث تحتاج إلى عالم نفساني ماهر ليشرحها [3] .

وتبدو عبقرية الكاتب واضحة حين يحول شخوصه إلى كائنات تتحرك على أرض الواقع، وهذا ما فعله " أمين يوسف غراب " في رواياته .

ومن إيجابيات الكاتب أنه يجعل التشكيل النفسي لشخوصه يسوغ لهم مسلكهم الذي يرتضونه وطريقهم الذي يسيرون فيها وأن رسم الشخصية في رواياته لم يأت عبثاً أو من باب السفسطة والحقيقة أن شخصيات روايات " أمين يوسف غراب " في معظمها مقهورة لكن أصحابها متعايشون .

ومما يلفت النظر أن " أمين يوسف غراب " اعتمد في رواياته على الوصف، ووظفه بفنية عالية سواء كان وصف الأماكن أو وصف الشخوص وإنما يرجع ذلك إلى اطلاعه الواسع وثقافته

---

(١) أمين يوسف غراب، رواية الأبواب المغلقة، ص ٢٣٦ .

(٢) أمين يوسف غراب، رواية الأبواب المغلقة، ص ٢٥٣ .

(٣) عادل النادي، الفنون الدرامية، دار المعارف ١٩٨٧ ص ٩٩، أو نقد الرواية لمحمود دياب، ص ٢٦١ .

المتشعبة وقراءاته المتعددة خاصة قراءاته " للمنفلوطي " .

واهتم " أمين يوسف غراب " في وصفه للشخوص بالوصف الخارجي وخاصة جمال المرأة، وخاصة الأجزاء الداخلية مركزاً على وصفه للصدر عند المرأة، كما وصف صدر " شفعات " قائلاً

" ونظر أيضاً إلى صدرها العاري الذي يشع نوراً، والذي ازداد إشعاعه عندما مدت يدها إلى الصدر وكشفت عن جانب كبير منه وهي تخرج المفتاح الذي وضعته بين النهدين " (١) .

" حتى الصدر العريض العاري يتموج نوره ويتيه استعلاء بقيمته ودلالاً بتوأميه " (٢) .

وكذلك وصف صدر الرجل حيث وصف صدر " إمام البلتاجي " قائلاً : " كما راح المنديل الأحمر ورباط الرقبة الذي من لونه يزينان صدره ويتألقان نوراً على الصدر " (٣) .

" وبقي صدره العريض عارياً تغطيه الطبقة السوداء من الشعر الكثيف الخشن " (٤) .

ولم يغفل الكاتب وصف صدر " حسبو " قائلاً :

" يعلو صدره وينتفض كالقربه، فتبرز عظام الصدر سوداء مدببة كأعواد الحديد تماماً"(٥).

ولم يصف الكاتب الصدر فقط بل وصف جميع الأعضاء الخارجية مثل الذراع، والأذن، والرأس، وغيرها .

" ذات جمال أخاذ تبهر العين طلعته، وقوام سمهري ممشوق عرفت كيف تغذيه وتتعهده، فغدا كالفرع المياد الذي يتهادى مع النسيم، ووجه يفيض بالبشر، يعلوه جبين وضاح يشبه فلق الصبح، تزينه دائماً قصة من الشعر الفاحم يتوسطها فرق صغير انطبع على الجبين كالهلال الوليد،

---

(١) أمين يوسف غراب، رواية شباب امرأة، ص ١٨٩ .

(٢) أمين يوسف غراب، رواية شباب امرأة، ص ١٢١ .

(٣) أمين يوسف غراب، رواية شباب امرأة، ص ١٥٢ .

(٤) أمين يوسف غراب، رواية شباب امرأة، ص ٩٤ .

(٥) أمين يوسف غراب، رواية شباب امرأة، ص ١٧٩ .

وفق هذا كله منديلها المطرز بالترتر وخرج النجف، وزهور القرنفل البيضاء، انعقد حول رأسها، وتدلت أطرافه بين المقصوص الطويل المنساب حول الأذن التي يزينها قرط ذهبي كبير على هيئة نصف دائرة، يروح ويجيء على الكتف المرمرية البيضاء، التي حجبتها ملاءة سوداء رقيقة من الحرير الخفيف الرقيق الملمس عرفت كيف تحكمها في مهارة فائقة حول جسدها، وتضغط نسجها الرقيق على قوامها الفارع وقدها الممشوق، بحيث فصلته تفصيلاً وأبرزت محاسنه وجعلت كنوزه تتوهج نوراً في عينيك، تماماً كما تتوهج كنوز الماس والجواهر في قلب فترينة من زجاج " [1] .

وأيضاً لم يغفل وصف الأعضاء الخارجية في رواية (ست البنات) حيث ركز على وصف الصدر عند الرجل والمرأة .

فوصف صدر " خيري " قائلاً :

" فتحسست صدره مرة أخرى وكأنها تراه لأول مرة، وأحست تلك الشعرات السوداء المدببة التي عليه أشبه ما تكون بألسنة اللهب الرفيعة، تلهب ذلك العملاق الذي يتحرك في كيانها، وتزيد من ثورته " [2] .

ووصف صدر " سميحة " قائلاً :

" بظهر " سميحة " وخصرها وردفيها، وهي خارجة لتعد له القهوة، أو بصدرها وذلك الشيء الذي تضغطه المريلة على الصدر في حنان رقيق وهي مقبلة عليه بصينية القهوة [3] .

ووصف صدر، وصوابع، وجوارح تاجر الدواجن أحد أولياء أمور الفتيات اللائي كن يقمن علاقة مع " خيري " قائلاً :

" وتزين صوابعه عدة خواتم ذهبية وماسية ذات ألوان براقة . تكاد تخطف الأبصار، كما يزين صدره بالكتينة الذهبية، الثقيلة التي تشبه الجنزير، وإن كانت على هيئة جسم ثعبان، تتدلى

---

(١) أمين يوسف غراب، رواية شباب امرأة، ص ٥٠، وكذلك ص ٦٢ .

(٢) أمين يوسف غراب، رواية ست البنات، ص ٤٩ ــ ٥٠ .

(٣) أمين يوسف غراب، رواية ست البنات، ص ١٢٦ .

منها كعكة ذهبية ذات طوق من الذهب أيضاً يتوسطها جنيه ذهبي على رسم الملكة .. وهو يعلق هذه السلسلة أو هذه الكتينة على صدره بحيث يتدلى نصفها تقريباً فوق الصديري . الذي يكشف عن نصف صدره العاري الذي ترى عليه الوشم الكبير الذي يمثل أسداً هصوراً مفترساً، بحيث أنك لو رأيته، والسلسلة مدلاة على صدره، لظننت أنها سلسلة الأسد الهصور ملتفة حول عنقه وليست مدلاة فوق صدر رجل [1] .

ولعل الذي جعله يصف الأجزاء الخارجية الحساسة من صدر ونهد وذراع وغيرها هي الحياة المفتوحة التي يعيشها خاصة في القاهرة .

وقد أكثر " أمين يوسف غراب " من الوصف بصورة لافتة في رواياته وهذا شيء يضر بالعمل الفني لأن أكثر وصفه مكرر في ثنايا رواياته وخاصة في (شباب امرأة)، (والأبواب المغلقة) .

ورغم اهتمامه بالوصف الخارجي للشخوص إلا أنه لم يهمل الوصف الداخلي الذي يعبر عن باطن الشخصية من إحساس، وبين المحور النفسي لها، فغالباً يتكلم بضمير المتكلم .

واعتمد في رواياته على مفهوم الصدفة، ولذا عاب عليه الدكتور " السعيد الورقي " قائلاً : " اعتمد " أمين يوسف غراب " على هذا المفهوم الصدفي الذي لا يبرره سوى القدر الخارجي بشكل غالب في بناء أحداثه وتطورها [2] .

ولقد أسهم الوصف الذي قام به الكاتب في تكوين الشخصية وبناء ملامحها المادية وتجسيد نفسياتها، والتركيز على الملامح الداخلية والخارجية وعبَّر الوصف عن الحالات النفسية للشخصية تعبيراً فنياً رائعاً، أعطى القارئ إحساساً صادقاً بأن ما يقدم عبارة عن واقع وحقيقة .

---

(١) أمين يوسف غراب، رواية ست البنات، ص ١٤٨ .

(٢) سعيد الورقي، اتجاهات القصة القصيرة، ص ١١٥ .

المبحث الخامس

لغة الوصف

ومما يلاحظ أن وصف " أمين يوسف غراب " كان وصفاً انتقائياً أحياناً واستقصائياً في أحيان أخرى، وكان ذلك كله في لغة مكثفة موحية، فجاء كل مقطع من مقاطع وصف المكان في روايات يخدم بناءها ويعكس شخصياتها ويثري حدثها .

واللغة التي يستخدمها " أمين يوسف غراب " تحمل في باطنها عوالم الموروث الثقافي والاجتماعي والإنساني حيث " تكمن براعة المبدع في استلهام الطاقة الخلاقة في جماعيته مبلوراً رؤيتهم للعالم المعيش، ومستفيداً من كل التجارب الإنسانية بقدر كفاءته في تمثلها واستيعابها وأدائها في الكلمات والأشكال الفنية [1] .

وقد استطاع " أمين يوسف غراب " أن يصنع هذا في لغة موجزة وموحية ومناسبة للمستوى الفكري والثقافي والاجتماعي للشخصيات التي يصورها في عمله " واللغة التي يستخدمها الكاتب الروائي في عمله تمثل أهمية خاصة بوصفها وسيلة من الوسائل الفنية للعمل الروائي، ويقصد بها القالب اللفظي الذي يصوغ فيه أفكاره، ويجسد رؤيته ويكثف إحساسه في صورة مادية يستشعرها حوله من خلالها تتضح البيئة وتظهر الأحداث وفق تسلسلها المقدور حيثما أراده الكاتب . والروائي يرتفع على الواقع دون أن ينفصم عنه ويستخدم اللغة التي تعبر عن عوالم الشخصيات النفسية وصراعاتها الداخلية ويتخير الألفاظ والأساليب التي تدل على مستويات الشخصيات فكراً وثقافة وسلوكاً " [2] .

---

(١) صلاح فضل، شفرات النص دراسة سيميولوجية في شعرية القص والقصيدة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، فبراير ١٩٩٩ م، ص ٣٦٧، ٣٧٠ .

(٢) محمد حسنين قشيوط، دراسة أدبية عن أعمال محمد عبد الحليم عبد الله، الهيئة العامة لقصور الثقافة ط ١، ٢٠٠٠، ص ١٦٧، أبعاد المكان د / أحمد عرين، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط ٢٠٠٤، ص ٦٩ ــ ٧٠٠

" وأمين يوسف غراب " أمسك بأدوات فنه بإحكام على المستوى اللغوي وعلى مستوى عناصر القص الأخرى، وترك لأشخاصه مساحة تتحرك من خلالها في علاقات محدودة، واستطاع " أمين يوسف غراب " أن يوجد تفاعلاً وترابطاً بين الفن والحياة، واستطاع أن يشعرنا بأن ما ينقله إلينا واقع بالفعل وله ارتباط كبير بالحياة لأن " الرواية الجديدة لا تكتفي بنقل الحياة فحسب بل تقول شيئاً عن هذه الحياة يكشفها عن نمط أو مغزى معين في الحياة " [1] .

" وأمين يوسف غراب يكتب بلغة العرب، ثم لا يحفل كثيراً بما وضعوه لها من قواعد، ولكنه على كل حال يبذل في قصصه جهداً محموداً من حيث تشكيلها الفني وأداؤها اللغوي "[2].

والحقيقة أن " أمين يوسف غراب " حرص على التشبث باللغة العربية في نسيجه القصصي، وكثيراً ما يسوق الأغاني الشعبية الفلكلورية مثل :

يا أم العيون تتعشق

يا أم القوام مياس

يا أم النهود تتعبد

يا أم السيقان تنباس

يا رابطة على الفرع وردة

في مكان حساس

الورد أنا رويته

وشوكه جرحني

وبدال ما يداوي جرحي

---

(١) عبد الفتاح عثمان بناء الرواية، دراسة في الرواية المصرية، مكتبة الشباب، ص ٢٠٠، وأبعاد المكان الفنية د / عوين ص ٧٠ .

(٢) قيم ومعايير للأستاذ العوضي الوكيل ط / الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٥ ص ٣٣ .

بالقدم بانداس [1] .

وقوله على لسان عم " غنيم " خفير المحطة :

زعق الوابور على السفر .·. قلت رايحين فين
ح تغيبوا سنة .·. ولا تغيبو اثنين
يا اللي ملكتو الفؤاد .·. يا كحلة جوه العين[2]

وكذلك أكثر من الأمثال الشعبية كما ورد بكثرة في رواية (ست البنات) :

" يا ماش والدنيا معاك، حاسب فيه ست وراك " [3] .

" بعد الجزار ما يقفل دكانه مافيش كلاب تقف قدامه " [4] .

" أذا عرف السبب بطل العجب " [5] .

وكذلك يحرص الكاتب على استلهام التراث في نسيجه القصصي متجسداً في ألفاظه القديمة، وربما كان السبب في ذلك هو تأثره الكبير " بالمنفلوطي " واهتمامه الشديد بلغته، لأن بين الرجلين اتفاقاً كبيراً في البيئة فكلاهما ريفي لم تستطع المدينة أن تنفذ إلى عظامه فعبر بأسلوبه ولغته وحرص على الزركشة اللفظية والقوالب اللغوية واستخدم أيضاً الكاتب ضمير المتكلم ربما يكون ذلك عيباً لأنه يجعل الرواية أقرب إلى الترجمة الذاتية " وضمير المتكلم يتيح للكاتب أن يتكئ على الأسلوب الإنشائي الذي ورثه من أستاذه " المنفلوطي " بحيث يعلو صوت الأنا فيسلب الأسلوب القدرة على التعبير الفني ويصبح زينة شكلية " [6] .

---

(١) أمين يوسف غراب، رواية شباب امرأة، ص ١٨٩ .

(٢) رواية شباب امرأة ص ١٣٩ .

(٣) رواية ست البنات، ص ١٤٣ .

(٤) رواية ست البنات، ص ١٦٣ .

(٥) رواية ست البنات، ص ٢٧٦ .

(٦) محمود دياب، نقد الرواية، بتصرف ص ٢٣ .

المبحث السادس

الكاتب ما له وما عليه

(١) السمات الفنية للأديب " أمين يوسف غراب " :

١ ــ استعان الكاتب بالعديد من الوسائل الفنية في رسم شخوصه مثل السرد والحوار واهتم أيضاً بالوصف .

٢ ــ يتسم البطل عند " أمين يوسف غراب " بأنه بطل مقهور مغلوب على أمره لا يستطيع أن يحدد مصيره، ويعجز عن اتخاذ القرار، ويرجع ذلك إلى المجتمع من حوله، وللقدر، ومعظم أبطاله من النساء.

٣ ــ تتسم لغة " أمين يوسف غراب " بأنها لغة عربية فصحى نتيجة لتأثيره " بمصطفى لطفي المنفلوطي "، واستخدم العامية على استحياء .

٤ ــ الطريقة التي وظفها الكاتب في وصف المظهر الخارجي للشخصية هي الطريقة التحليلية حيث عكف على تفسير حركة الشخصية وسلوكها وشرح عواطفها وأفكارها .

٥ ــ جنح الكاتب إلى استخدام التشبيهات البليغة والصور البيانية مثل قوله : " تمشت في وجهها من إشراف وغدا تماماً كطلعة الفجر عندما يتنفس نوره في الكون " [١] .

" قالت وكأنها جريح متألم " [٢] .

" دبت في أوصالها الحياة وفي جمالها الفتنة " [٣] .

" ثم فرت من أمامه، كما يفر الغزال الشارد " [٤] .

---

(١) رواية الأبواب المغلقة، ١٠٠ .

(٢) رواية الأبواب المغلقة، ١٠٢ .

(٣) رواية الأبواب المغلقة، ٨٧ .

(٤) رواية ست البنات، ص ١٢٤ .

" فهدر كالثور الهائج، والنار تتلظى في عينه " [1] .

" يترنح كالثور المذبوح " [2] .

٦ ـــ استخدم الكاتب في رواياته الأغاني الشعبية والأمثال كقوله :

" لا ليّ في الطور ولا في الطحين " [3] .

نحو قوله : يا أم العيون تنعشق

يا أم القوام مياس

يا أم النهود تتعبد

يا أم السيقان تنباس [4] .

" يا ماشي والدنيا معاك حاسب فيه ست وراك " [5] .

" إذا ذكر السبب بطل العجب " [6] .

٧ ـــ استخدم في رواياته التعبيرات الإسلامية نحو :

" لا حول ولا قوة إلا بالله " [7] .

" ولا يعلم بها أحد إلا الله " [8] .

" قول سيدنا علي كرم الله وجهه : " لو كان الفقر رجلاً لقتلته " [1].

---

(١) رواية ست البنات، ص ١٥ .

(٢) رواية ست البنات، ص ١٥٩ .

(٣) رواية ست البنات، ص ٦١ .

(٤) رواية شباب امرأة، ص ١٨٩ .

(٥) رواية ست البنات، ص ١٤٣ .

(٦) رواية ست البنات، ص ٢٧٦ .

(٧) رواية ست البنات، ص ١٥٩ .

(٨) رواية الأبواب المغلقة، ص ٢٢٠ .

" الناس لها الظاهر وليس هناك جناح على ما يقولون " [٢] .

اقتبسها من قوله تعالى : " وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ " [٣] .

" وقبل أن تقوم من مقامك أو حتى أن يرتد إليك طرفك " [٤] .

اقتبسها من قوله تعالى : " قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ " [٥] .

٨ ــ يتسم الحوار عند " أمين يوسف غراب " بأنه يتلاءم مع لغة الشخوص فإنه يحقق واقعية الأداء اللغوي التي تحقق للقارئ الإقناع مما يجعل العمل الروائي يتشبث بمقومات النجاح ومن أهمها الإثارة والتشويق وهما يولدان من رحم الصراع النفسي .

ويتضح ذلك من خلال الحوار الذي دار بين القاضي والصبي الصغير الذي يعمل في محل السمك .

" أين أنت يا سعادة البيه ؟ لقد كنت انظر مجيئك كل يوم بفارغ الصبر خيراً .

الست " زينات " .

وماذا بها ؟

لقد عرفت مسكنها الجديد ... وعرفت أين هي مقيمة الآن .

عرفت بيتها ؟

---

(١) رواية الأبواب المغلقة، ص ١٤٨ .

(٢) رواية الأبواب المغلقة، ص ١٦٩ .

(٣) سورة الأحزاب من الآية : ٥ .

(٤) رواية الأبواب المغلقة، ص ٢٠٧ .

(٥) سورة النمل الآيتان : ٣٩، ٤٠ .

وكيف عرفته ؟

من يومين فقط

هل قلت لها شيئاً

عيب محسوبك وإن كان صغيراً في السن لكنه يفهم كل شيء " [1] .

٩ ــ اهتم بوصف الأماكن تفصيلاً وكذلك الشخصيات مما يدل على أنه وصاف بارع ودقيق .

ما يؤخذ على الكاتب :

من أهم عيوب " أمين يوسف غراب " الفنية في رواياته ميله إلى التكرار من غير فائدة منه، وهذا يصيب القارئ بالملل والسأم، وربما يفسد أو يضعف العمل الفني نحو قوله :

" " زينات شوقي "، وتعمل راقصة في ملهى ليلي في الهرم " [2] .

" وإنها امرأة تعرض جسمها عارية للناس " [3] .

" قلت له أنني راقصة " [4] .

" أنت لك ابنة تدعى " زينات شوقي " وتعمل راقصة في بعض الملاهي الليلية " [5] .

وكرر في رواية (ست البنات) مثل :

" فهو أقام هذه الحفلة الراقصة في عوامته الخاصة ودعا إليها العديد من الأصدقاء والصديقات وأنفق فيها ما أنفق من أجل صديقه "حمادة " [6] .

---

(١) رواية الأبواب المغلقة، ص ١٥٩ .

(٢) رواية الأبواب المغلقة، ص ١٥٩، ١٦٠ .

(٣) رواية الأبواب المغلقة، ص ٢٠٣ .

(٤) رواية الأبواب المغلقة، ص ١٠٤ .

(٥) رواية الأبواب المغلقة، ص ٤٣ .

(٦) رواية ست البنات ص : ١٠ .

" وهو أيضاً أقام هذه الحفلة الراقصة في عوامته الخاصة ودعا إليها العديد من الأصدقاء والصديقات وأنفق ما أنفق من أجل حبيبته إلهام " (١) .

" وهو أيضاً أقام هذه الحفلة الراقصة في عوامته الخاصة، ودعا إليها العديد من الأصدقاء والصديقات وأنفق فيها ما أنفق من أجل " محاسن " (٢) .

والتكرار أيضاً في الوصف نحو قوله :

" وأخرج منديلاً قذراً ملوثاً ببعض السوائل اللزجة " (٣) .

" ويخرج منديله القذر الملوث ببعض السوائل اللزجة " (٤) .

وكذلك كرر الوصف في رواية (شباب امرأة) وخاصة عندما وصف " شفعات " في أكثر من موضع نحو قوله :

" ذات جمال أخاذ بهر العين طلعته، وقوام سمهري ممشوق عرفت كيف تغذيه وتتعهده، فغدا كالفرع الميادِ الذي يتهادى مع المشية ... على الكتف المرمرية البيضاء التي حجبتها ملاءة سوداء رقيقة من الحرير الخفيف الرقيق الملمس، عرفت كيف تحملها في مهارة فائقة حول جسدها، وتضغط نسجها الرقيق على قوامها الفارع وقدها الممشوق بحيث فصلته تفصيلاً " (٥) .

وكذلك تكرار وصف " حسبو " حيث وصف ملابسه، ونظارته، والصديري في أكثر من موضع " (٦) .

---

(١) رواية ست البنات ص : ١١ .

(٢) رواية ست البنات ص : ١٢ .

(٣) رواية ست البنات ص : ١٥ .

(٤) رواية ست البنات ص : ١١٦ .

(٥) رواية شباب امرأة، ص ٥٠، وكرر هذا الوصف ص ٦٢، ١٠٥ وغيرها .

(٦) رواية شباب امرأة، ص ٥١، ٢٢٥ .

الخاتمـــــــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعـــــــد،،

فهذا العمل الموجز عن فن الوصف في روايات " أمين يوسف غراب" ودوره في النسيج الروائي، يسعى إلى تبيان أهمية هذا العنصر في بناء الرواية، وقد عمل المؤلف على توظيفه توظيفاً متقناً، ولذا أردت أن ألقي الضوء وأميط اللثام عن هذا الموضوع الذي لم يهتم به كثير من النقاد والدارسون .

ولقد أسهم الوصف الذي قام به الكاتب في بناء الرواية، وجاء لخدمتها، وأيضاً في تكوين الشخصية وبناء ملامحها وتجسيدها في مشاهد وصفية متعددة .

واعتمد الكاتب على الوصف الذي يمثل لديه فنية عالية وربما راجع ذلك كثرة اطلاعه خاصة عن كثب نتاج " مصطفى لطفي المنفلوطي " .

ومن خلال هذه الدراسة توصلت إلى عدة نتائج منها :

١ ــ استطاع " أمين يوسف غراب " أن يصور الواقع الحقيقي للحياة البشرية، ويحقق واقعية الرواية مثل الروائيين الجدد، وكذلك صنع شخصيات واقعية تتحرك في أطر اجتماعي بعينها .

٢ ــ أن " أمين يوسف غراب " استطاع أن يعبر من خلال وصف المكان عن أصالته الشخصية المصرية، واستمساكها بالإصلاح الاجتماعي، وظهر ذلك بوضوح في علاقة الشخصيات بالمكان الذي تدور فيه الأحداث .

٣ ــ وصف الكاتب الأماكن وصفاً دقيقاً بكل جزئياتها ووظفه توظيفاً دقيقاً في خدمة وتطور الحدث الروائي .

٤ ــ شخصيات الكاتب معظمها شخصيات مقهورة مأزومة لكن أصحابها يتعايشون .

٥ ــ إن الوصف الذي قام به " أمين يوسف غراب " من شخصية أو مكان أسهم في بناء الرواية وتطور أحداثها، وتكون الشخصية وبناء ملامحها، وتجسدها في مشاهد وصفية بتقنية عالية.

٦ ــ إن الوصف عند الكاتب للشخصيات هو وصف يتميز بالزخرفة، ودقة الرسم، وهو وصف مشبع بالعاطفة وجمال المرأة .

٧ ــ إن الكاتب جمع بين الملكة الفنية للإبداع القصصي والثقافة العربية، وعشق القرية المصرية عشقاً جماً وكذلك المدينة .

٨ ــ تطغى ذاتية الأديب على نتاجه القصصي، وخاصة في (شباب امرأة) حيث إن البطل فيها يحمل فلسفته الخاصة، وصفاته الشخصية ومنها التشبث بالقيم والمبادئ .

٩ ــ للريف المصري دور مميز في أدب الكاتب لأنه يجعل من القرية توقه وشوقه .

١٠ ــ إن " أمين يوسف غراب " يعيد علينا سيرة " المنفلوطي "، واهتمامه الشديد بلغته وحرصه على تكون الشاعرية من خصائص، فالرجلان يتفقان في الطبيعة والثقافة، فكلاهما من الريف، ولذا تأثر بالمنفلوطي وحرصا على الزركشة اللفظية .

١١ ــ كان لنشأة الكاتب أثرها الواضح على نماذجه البشرية حيث أزمته النفسية وحزنه، واغترابه عن قريته كان مسوغاً لاختيار نماذجه التي تتسم بالحياء، كما وهم شخوصه بالقهر والظلم والضعف .

هذا ما توصلت إليه من نتائج، وأسأل الله العلي القدير السداد والتوفيق، إنه نعم المولى ونعم النصير .

المراجـــــــــع

١ ــ أحمد مكي ــ القصة القصيرة دراسة ومختارات، دار المعارف ط ٤ بدون .

٢ ــ أحمد عويس ــ أبعاد المكان الفنية في عصافير النيل، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط ٢٠٠٤ .

٣ ــ أمين يوسف غراب ــ الأبواب المغلقة، دار المعارف ط ١٩٦٣ .

٤ ــ أمين يوسف غراب ــ الساعة تدق العاشرة، دار الشعب ج ٢ القاهرة ١٩٨٦ .

٥ ــ أمين يوسف غراب ــ ست البنات، المكتب التجاري للطباعة والنشر، ١٩٥٩ .

٦ ــ أمين يوسف غراب ــ سنوات الحب، الكتاب الماسي، بدون .

٧ ــ أمين يوسف غزاب ــ شباب امرأة، سلسلة اقرأ، دار المعارف ط ٢٠٠٢ .

٨ ــ أمين يوسف غراب ــ نساء الآخرين، روز اليوسف، الكتاب الذهبي ١٩٦٢ .

٩ ــ بحراوي حسن ــ بنية الشكل الروائي ــ المركز الثقافي العربي بالدار البيضاء ١٩٩٠ .

١٠ ــ روبرت كاميل ــ أعلام الأدب المصري المعاصر سير وسير ذاتية، بيروت ١٩٩٦ .

١١ ــ السعيد الورقي ــ اتجاهات القصة القصيرة في الأدب العربي المعاصر في مصر، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٤ .

١٢ ــ سعيد يقطين ــ تحليل الخطاب الروائي ــ المركز الثقافي العربي ط ١٩٨٩ .

١٣ ــ سيزا أحمد قاسم ــ بناء الرواية ــ الهيئة العامة للكتاب ط ١٩٨٤ .

١٤ ــ شكري القاضي ــ مائة شخصية وشخصية ــ الهيئة العامة للكتاب ط ١٩٨٧ .

١٥ ــ صلاح فضل ــ شفرات النص، دراسة سيميولوجية في شعرية القص والقصيدة، الهيئة العامة لقصور الثقافة ١٩٩٩ .

١٦ ــ عادل النادي ــ الفنون الدرامية، دار المعارف ١٩٨٧ .

١٧ ــ عبد الحميد جودة السحار ــ همزات الشياطين فصل بين الرواية والأقصوصة، مكتبة مصر .

١٨ ــ عبد الفتاح عثمان ــ بناء الرواية دراسة في الرواية المصرية، مكتبة الشباب .

١٩ ــ عبد الله إبراهيم ــ البناء الفني في رواية الحرب في العراق، دار الشئون الثقافية، ط ١٩٨٨ .

٢٠ ــ العوضي الوكيل ــ قيم ومعايير الدار المصري للتأليف والترجمة ١٩٦٥ .

٢١ ــ قدامة بن جعفر ــ نقد الشعر .

٢٢ ــ مأمون غريب ــ مع مشاهير الفكر والأدب ــ دار المعارف ١٩٨٤ .

٢٣ ــ محمد حسنين قشيوط ــ دراسة أدبية عن أعمال محمد عبد الحليم عبد الله، الهيئة العامة للكتاب لقصور الثقافة ٢٠٠٠ .

٢٤ ــ محمود حامد شوكت ــ الفن القصصي في الأدب العربي المصري الحديث، دار الفكر العربي .

٢٥ ــ محمود دياب محمود ــ نظرة نقدية في الرواية ط ٢٠٠٧ .

٢٦ ــ محمود عباس العقاد ــ ألوان من القصة القصيرة في الأدب الأمريكي، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٣ .

٢٧ ــ وجيه يعقوب ــ الرواية المصرية في ضوء المناهج النقدية الحديثة.

٢٨ ــ يحيى حقي ــ عطر الأحباب ــ الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٦ .

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــــــوع	رقم الصفحة
مقدمة	
المبحث الأول : ملامح شخصية الأديب	
مولده	
تعليمه	
الروافد التي غذته	
مذهبه الأدبي	
مكانته الأدبية	
نتاجه الأدبي	
أولاً : القصة القصيرة	
ثانياً : الروايات	
ثالثاً : المسرحيات	
رحيله	
المبحث الثاني : الوصف	
ماهية الوصف	
قيمة الوصف ودوره	
المبحث الثالث : وصف المكان	
المبحث الرابع : وصف الشخصية	
المبحث الخامس : لغة الوصف	

الموضـــــــــــــــوع	رقم الصفحة
المبحث السادس : الكاتب ما له وما عليه	
السمات الفنية للأديب " أمين يوسف غراب "	
ما يؤخذ على الكاتب	
الخاتمة	
المراجع	
فهرس الموضوعات	